جامعـــــة الأقصـــــى بغـــــزة
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي
كليـــــة الآداب والعلوم الإنســـــانية
قســـــم اللغـــة العربيـــة وآدابهـا
شـــــــعبة الأدب والنقـــــــــد

الأساليب الإنشائية في جزء الأحقاف

"دراسة أسلوبية"

إعداد الطالبة

مريم يحيى نايف القططي

إشراف

الأستاذ الدكتور/ عبد الجليل حسن صرصور

أستاذ الأدب والنقد وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الأقصى – سابقاً -

رئيس جامعة غزة

قدمت هذه الرسالة لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

إقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

الأساليب الإنشائية في جزء الأحقاف

"دراسة أسلوبية"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة، إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارةُ إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها، لم يُقدم من قبل، لنيل درجة أو لقب علمي، أو بحثي، لدى أي مؤسسة تعليمية، أو بحثية أخرى.

Confirmation

I, the undersigned, the owner of the study entitled:

Humanitarian Methods in Al ahqaf Chapter

stylistic approach

certify that the content of this study is a result for my own effort except what was mentioned. I also confirm that the whole study or any part of it, hasn't been submitted before to obtain an academic degree in any educational or research institution.

الباحثة: **مريم يحيى نايف القططي**

التوقيع: _____

التاريخ: ٢٨ / ٨ / ٢٠١٧

إهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى:

- من بذل في سبيل هذا الوطن دماً أو مالاً أو دموعاً، واحتسب وصبر ورابط على ترابه الطاهر.
- من كان حرمانه من أهله وأولاده وحريته المعتقلة خلف قضبان سجون الاحتلال ثمناً لننعم نحن بما حرم هو منه؛ ولتنعم فلسطين ببره لها، وحبه لثراها.
- أبي العزيز وأمي الغالية وزوجي الحبيب ووالديه الكريمين وأسرتي الصغيرة (يزن ونغم ويامن وغنى) وعائلتي كلها من أقارب وأحبة.
- أستاذي الفاضل الدكتور **عبد الجليل صرصور**.
- صديقاتي الكريمات، رفيقات الدرب والجهد.
- كل من له حقٌ علينا.
- كل باحثٍ وباحثةٍ عن المعرفة.

أتقدم بجزيل الشكر وفائق الامتنان لكلٍ من:

- الأستاذ الدكتور **عبد الجليل حسن صرصور** الذي تشرفت بكونه مشرفاً على رسالتي، وهو صاحب العلم والرأي والمشورة فأنعم به وأكرم.
- الأستاذ الدكتور **رائد الداية** المحاضر بجامعة فلسطين، والذي أسدى لي النصائح والتوجيهات وزودني بالمراجع اللازمة لإخراج هذا البحث بالصورة التي خرج بها.
- والدي الكريمين وزوجي ووالديه الرائعين الذين لم يدخروا جهداً في تشجيعي ودعمي مادياً ومعنوياً وتوفير سبل الراحة لي، والتفرغ ما أمكن لإتمام هذه الرسالة.
- الدكتور **مجدي عايش أبو لحية** المحاضر بجامعة الأقصى، والذي وقف بجانبي بالنصح والإرشاد والتوجيه من بداية مشواري.
- أساتذتي الذين شرفت بعلمهم إياي أثناء مدة دراسة مساقات ما قبل الرسالة، فلهم الفضل بعد الله في خروج البحث على النحو الذي هو عليه.
- القائمين على مكتبات جامعات قطاع غزة، إذ أفسحوا أمامي المجال واسعاً لاستعارة الكتب والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث.
- زميلاتي بهذا الدرب المعبد بالجهد وصديقاتي وأقربائي جميعاً.

الملخص

الأساليب الإنشائية في جزء الأحقاف: دراسة أسلوبية

الطالبة: مريم يحيى نايف القططي

إشراف : أ . د / عبد الجليل حسن صرصور

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الأساليب الإنشائية في سور جزء الأحقاف جميعها، مُتخذةً المنهج الأسلوبي منهجاً لها، والذي يقوم على تحليل الأساليب الإنشائية الطلبية ودراستها (الاستفهام، الأمر، النهي، النداء)، وغير الطلبية (الذم، القسم، الرجاء)، وقد وقعت الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، حيث تضمنت المقدمة أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، وبعض الدراسات السابقة وخطة الدراسة، ثم التمهيد الذي تضمن تعريفاً للأسلوب والإنشاء وأنواعه، وصيغ الإنشاء الطلبي، وسبب عناية البلاغيين بالأساليب الإنشائية الطلبية.

وتضمن **الفصل الأول** تعريف الاستفهام، وأدواته وطرقه، وعلاقة أسلوب الاستفهام بموضوعاتٍ بلاغيةٍ مثل: الاستعارة، الكناية، الالتفات، الإطناب، وما تحتاجه من عرض وتحليل لأسلوب الاستفهام في جزء الأحقاف وبيان أغراضها البلاغية.

وتحدث **الفصل الثاني** عن تعريف أسلوب النهي وصيغه ودلالاته، وعلاقته بأساليب البلاغة الأخرى، المعاني البلاغية لأسلوب النهي بشكل عام، تم تحديد أساليب النهي في جزء الأحقاف وبيان أسرارها البلاغية.

وتناول **الفصل الثالث** أسلوب النداء، وماهيته، وأدواته، والعلاقة بين أسلوب النداء والأساليب البلاغية الأخرى، واستخراج لأساليب النداء في جزء الأحقاف، والمعاني البلاغية التي خرج إليها.

أما **الفصل الرابع** فتناول أسلوب الأمر، وتعريفه، وصيغه، ودلالاته، وبيان الوجوه المشتركة بين الأمر والنهي، وبيان أساليب الأمر في جزء الأحقاف ومعرفة معانيها البلاغية.

أما **الفصل الخامس** فقد خُصص لأساليب الإنشاء غير الطلبية، القسم، وتعريفه، وفائدته، والرجاء، مفهومه وأدواته، وأسلوب الذم، تعريفه، وأداته، ومواضع كل أسلوب في جزء الأحقاف، ومعرفة أغراضه، ومعانيه البلاغية.

وانتهى البحث **بالخاتمة** التي تضمنت خلاصة البحث وأهم نتائجه، وعرض للمصادر والمراجع.

Abstract

Humanitarian Methods in Al ahqaf Chapter

Prepared by the researcher: Mariam Yahiya Nayef Al Qutati

Supervised by: Dr Abdel Jalil Hassan Sarsour

This study aims at studying the humanitarian methods in all the surats of Al ahqaf chapter and it uses the stylistic approach as a study approach which depends on analyzing and studying the request humanitarian methods (Interrogative- Appeal – Command- Inhibition) , and also the non-request humanitarian methods (Swear- Esperance- Praise- Slander- Negation).

The study comes in an introduction, five chapters and a conclusion.

The introduction contains the reasons of choosing the study, its importance, aims, method, some of the previous studies and the plan of the study.

The preface produces a definition for the stylistic and humanitarian methods and their types. It also produces the kinds of the request humanitarian method and the reasons why the specialists of the rhetorical field care about the request humanitarian methods.

The first chapter contains a definition of the interrogative method, its tools, types and its relation to the rhetorical subjects. It also presents and analyzes the interrogative method in Al ahqaf chapter and clarifies its rhetorical aims.

The second chapter contains a definition of the inhibition method, its types, significance and its relation to the other rhetorical methods. It mentions the rhetorical meanings of the inhibition method and its positions in Al ahqaf chapter with clarifying its rhetorical secrets.

The third chapter contains the appeal method, what it is, its tools, clarifying its relation to the other rhetorical methods and showing the positions of the appeal method in Al ahqaf chapter with explaining the meanings which it seeks for.

The fourth chapter talks about the command method, its types, meanings and it clarifies the integrated points between the appeal and the inhibition methods. It also shows the relation between the command and the appeal and inhibition methods. The chapter also highlights the positions of the command method in Al ahqaf chapter with presenting its rhetorical meanings.

The fifth chapter highlights the non-request humanitarian methods. Swear, its definition, importance. Esperance, its definition and tools. And Slander. The chapter shows the positions of each method in Al ahqaf chapter and talks about their aims and rhetorical meanings.

The study ends with a conclusion which contains a summary for the study and its important results and showing references and resources.

مقدمة

بسم الله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، جعل بفضلٍ من عنده ومنة من لدنه مرتبة العلم بعد مرتبة الإيمان، إذ رفع طالب أولاهما كما الأخرى درجات لا يعلمها إلا هو، نحمدك إلهنا أن ألهمت ساكني السموات والأرض من ملائكة وبشر ودواب حتى النملة في جحرها والحوت في بحره يصلون على معلم الناس الخير، فنصلي ونسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

إن للبلاغة العربية مكانة عظمى وقيمة كبرى، فهي مستقلة بأصدق الكلام وهو كتاب الله عز وجل، وسنه نبيه(ﷺ)، الذي اشتمل على صورٍ بلاغيةٍ محكمةٍ وإعجاز كلامي لا مثيل له، فبذلك كانت محل تحدٍ لذوي الفصاحة والبيان من العرب، حتى إنهم وبعد استماع بعضهم للقرآن وفي تعليقهم على آياته وصفوه بأبهى ما يكون، اعترفوا بأنه لم يطرق آذانهم من قبل كلامٌ مثله في إحكامه، فنفوا عنه صفة أن يكون من قول البشر كقول (عتبة بن ربيعة) بعدما قرأ الرسول(صلى الله عليه وسلم) على مسامعه: ﴿حم* تنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*كِتابٌ فُصِّلَت آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ* بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ* وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[1]، ثم مضى رسول الله يقرؤها، فلما سمع منه (عتبة) أنصت له، وقام إلى أصحابه قائلاً: إني سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط، والله ما

([1]) آية ١-٥ من سورة فصلت.

هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة.[1] ، وما كان ذلك إلا لبلاغة القرآن المعجزة، وتنوع أساليبه الفريدة، ومنها الأساليب الإنشائية والتي تُعد من أبواب علم المعاني، فكل أسلوب من الأساليب الإنشائية ــ سواء أكان استفهاماً أم أمراً أم نداءً أم غير ذلك من الأساليب الأخرى ـــ يحمل معاني ودلالات بلاغية جمة.

وإنه وقد قُدر لي أن أبحث في هذا الموضوع(الأساليب الإنشائية في جزء الأحقاف)، توافق ما قُدر لي مع رغبة تلح على خاطري في أن يكون بحثي على صلة كبيرة بالقرآن الكريم؛ لأن المتدبر لكتاب الله جل وعلا، ليقف على أساليب بلاغية وفنون بيانية تستثير الفكر وتفسح أمامه مجالاً واسعاً من التأمل والعلم والعمل، ولا شك أن الوقوف عند هذه الأساليب من خلال القرآن الكريم أمر في غاية الصعوبة.

إن سُور جزء الأحقاف تلتقى فيها كثير من أغراض القرآن الكريم من توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وحقيقة البعث والنشور، والعبادات والمعاملات والأحكام وغيرها من موضوعات السور المكية والمدنية.

([1]) يُنظر: الرحيق المختوم: صفى الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، المنصورة، ط١٧، ٢٠٠٥، ١٠٧.

من دوافع اختياري لهذا الموضوع:

أولاً: عدم عثوري على دراسة بلاغية في الأساليب الإنشائية لجزء الأحقاف.

ثانياً: احتواء جزء الأحقاف على سور كثيرة، ولذلك أثر كبير في إثراء موضوع البحث لكثرة الأساليب الإنشائية الواردة في هذا الجزء.

أهداف الدراسة:

- خدمة القرآن الكريم؛ إظهاراً لمقاصده وتبياناً لمراميه.
- تحليل الآيات الكريمة تحليلاً بلاغياً بالوقوف عند أنواع الأساليب الإنشائية وأغراضها، والمعاني البلاغية لها، والتعرف على أوجه الإعجاز في الجزء عينة الدراسة.
- إثراء المكتبة الإسلامية بمزيد من الدراسات البلاغية في القرآن الكريم، تكشف عن أغراض الجمال فيه.
- الرغبة في الكشف عن أغراض الأساليب الإنشائية، وتتبع أثرها في بلاغة السياق.
- التعرف إلى دقائق البلاغة التي ترمي إليها الأساليب الإنشائية حسب السياق ومقتضيات الأحوال.

أهمية الدراسة:

- إلقاء الضوء على ترابط الظواهر اللغوية البلاغية في القرآن الكريم.
- استكمال جانب من الجهود التي بذلت حول الدراسات البلاغية في القرآن الكريم .
- تزويد القارئ العربي بطريقة إجرائية تطبيقية لتحليل أساليب القرآن الكريم بلاغياً(جزء الأحقاف أنموذجاً).

منهج الدراسة :

اعتمدت الباحثة في دراستها لجزء الأحقاف، منهجاً أسلوبياً؛ لمناسبته لطبيعة الموضوع وحيثياته في استخراج الأساليب الإنشائية، وبيان أغراضها البلاغية.

الدراسات السابقة:

في حدود علم الباحثة أن الأساليب الإنشائية في جزء الأحقاف لم يتم دراستها دراسة مستقلة؛ بل إن الدراسة حولها بوجه عام كانت دراسة تحليلية موضوعية .

* أما عن الأساليب الإنشائية في بعض السور فقد سبق هذا البحث رسائل في الأساليب الإنشائية منها:

- الأساليب الإنشائية في سورة الإسراء، دراسة بلاغية تحليلية(رسالة ماجستير)، للباحثة: مشاعل بنت عبد الرحمن بن حسن الحافي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،١٤٣٤هـ.
- الأساليب الإنشائية في شعر لبيد بن ربيعة،(رسالة ماجستير)، للباحثة: بدرية منور العتيبي جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ.
- الأساليب الإنشائية في سورة طه، دراسة بلاغية تحليلية(رسالة ماجستير)، للباحثة: أروى بنت عبد الرحمن السحيباني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٤هـ.
- أسلوب الإنشاء في سور المفصل من سورة ق إلى آخر سورة الناس،(رسالة ماجستير) الباحث: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، جامعة الإمام محمد بن سعود ،١٤١٤هـ.

- الأساليب الإنشائية في سورة النحل،(رسالة ماجستير)، للباحثة: أفنان بنت منصور بن صالح اليوسف ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- الأساليب الإنشائية في سورة النمل، دراسة بلاغية تحليلية(رسالة ماجستير)، للباحثة: خلود بنت سعد بن إبراهيم العقيل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،الرياض، ١٤٢٩هـ.
- الأساليب الإنشائية في سورة يونس،(رسالة ماجستير)، للباحث: عبد الرحمن بن إبراهيم الجريد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الأساليب الإنشائية في سورتي الأنعام والأعراف،(رسالة ماجستير)، للباحثة: زينب حسن محمد، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية، ١٠٤٩هـ.
- الأساليب الإنشائية في سورتي الأنفال والتوبة،(رسالة ماجستير)، للباحثة: آمنة علي عثمان، جامعة الأزهر.
- الأساليب الإنشائية في سورتي النساء والمائدة وأسرارها البلاغية،(رسالة ماجستير)، للباحثة: أسماء السيد شعبان، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية، ١٤١١هـ.
- بلاغة الأساليب الإنشائية في سورة الكهف،(رسالة ماجستير)، للباحث: عبد الله بن ابراهيم بن عيسى الجريوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٤٣٤هـ.
- من الأساليب الإنشائية في جزء الذاريات، مواقعها وأسرارها،(رسالة ماجستير)، للباحثة: لمياء بنت محمد بن حمود المطرفي، جامعة أم القرى، ٢٠٠٧.

تقسيم الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون في مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، تلتها الخاتمة التي تضمنت ملخص الموضوع، وأهم النتائج التي تم التوصل إليها، وقد كان تفصيل الخطة على النحو الآتي:

- **المقدمة:**

وقد تضمنت أسباب الدراسة ودوافعها، وأهدافها، وأهميتها، ومنهجها، وأهم الدراسات السابقة.

- **التمهيد:**

تناول بالدراسة تعريف الأسلوب، وأنواعه، ومفهوم الإنشاء، وأنواعه، وصيغ الإنشاء الطلبي، وسبب عناية البلاغيين بالأساليب الإنشائية الطلبية، وأثر الأساليب البلاغية في إبراز المعاني، ثم وقفات مع جزء الأحقاف.

وخصصت **الفصل الأول** لأسلوب الاستفهام وأغراضه البلاغية، وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الاستفهام، وأدواته، وطرقه.

المبحث الثاني: أولاً: بلاغة الأوجه القرآنية في جزء الأحقاف.

ثانياً: علاقة أسلوب الاستفهام بموضوعات البلاغة.

المبحث الثالث: المعاني البلاغية للاستفهام في جزء الأحقاف.

وتم تخصيص **الفصل الثاني** لأسلوب النهي، وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف النهي، وصيغته، وتحديد دلالات النهي من حيث الوجوب والاستعلاء والزمن والمقدار، وآراء البلاغيين في ذلك، وعلاقة أسلوب النهي بأساليب البلاغة الأخرى الواردة في الآية نفسها.

المبحث الثاني: فيه ذكر المعاني البلاغية لأسلوب النهي على سبيل المثال لا الحصر، واستخراج أساليب النهي في جزء الأحقاف، ومعرفة معانيها البلاغية .

وخُصص **الفصل الثالث** لأسلوب النداء، وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: ماهية النداء، وذكر الأدوات الخاصة به، وتحديد الآيات التي ذُكرت فيها الأداة والتي حُذفت منها، مع بيان سبب الحذف، ومعرفة العلاقة بين أسلوب النداء والأساليب البلاغية الأخرى.

المبحث الثاني: تم ذكر المعاني البلاغية لأسلوب النداء بشكل عام ثم استخراج أساليب النداء في جزء الأحقاف، ومعرفة معانيها البلاغية.

وخُصص **الفصل الرابع** لأسلوب الأمر في جزء الأحقاف، وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الأمر، وصيغه، ودلالاته وبيان الوجوه المشتركة بين الأمر والنهي من حيث الدلالات.

المبحث الثاني: المعاني البلاغية لأسلوب الأمر، وبيان أساليب الأمر في جزء الأحقاف، ومعرفة معانيها البلاغية.

يتناول **الفصل الخامس:** أساليب الإنشاء غير الطلبي في جزء الأحقاف، وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الإنشاء غير الطلبي، وموقف البلاغيين منه، وبيان سبب قلة عناية البلاغيين بالإنشاء غير الطلبي.

المبحث الثاني: أولاً: أسلوب القسم، تعريفه، وفائدته، ومواضع القسم في جزء الأحقاف، وأغراضه البلاغية.

ثانياً: أسلوب الرجاء، مفهومه، وأدواته (لعل، عسى)، ومواضع الرجاء في جزء الأحقاف، وأغراضه البلاغية.

ثالثاً: أسلوب الذم تعريفه، وأغراضه البلاغية.

ثم تلت هذه الفصول **الخاتمة** وتناولت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

التـــمهيـــد

- تعريف الأسلوب، أنواعه.
- مفهوم الإنشاء، أنواعه، صيغ الإنشاء الطلبي.
- سبب عناية البلاغيين بالأساليب الإنشائية الطلبية.
- أثر الأساليب البلاغية في إبراز المعاني.
- وقفات مع جزء الأحقاف.

تعريف الأسلوب:

قبل أن أتحدث في تعريف الأساليب الإنشائية، ومعرفة أنواعها، ومعانيها، أعرض أولاً مفهوم الأسلوب بمعانيه المختلفة، وقد كان للقدماء والمحدثين آراؤهم حول هذا المفهوم في دراساتهم، وحظى باهتمام خاص منهم، على الرغم من القول بأن "ليس هناك حتى الآن تعريف دقيق ومحدد للأسلوب موضوع الأسلوبية، يحمل النفس على الاقتناع والرضا."[١]

ولعل تعدد المفاهيم والاختلاف في تحديد المفهوم المناسب للأسلوب يرجع إلى كلٍ من القارئ والمستمع وطبيعة الموقف الذي يحاكيه الأسلوب، فقد جاءت كلمة الأسلوب في لسان العرب بمعنى السطر من النخيل، وكل طريق ممتد هو أسلوب.[٢]

و"الأسلوب في التراث القديم ارتبط بعدة مسارات، فهو يدل على طرق العرب في أداء المعنى، أي الخواص التعبيرية التي تتناسب وكيفية أداء المعنى، وكيف أن هذه الخواص التي تبرز الدلالة التي يهدف إليها الأديب"[٣]، وهو طريقة للتعبير باختيار الألفاظ المناسبة؛ لإيصال المعنى المراد للتأثير في القارئ أو المستمع كلٍ حسب الموقف.

---

(١) الخطاب الشعري عند محمود درويش "دراسة أسلوبية ": محمد صلاح أبو حميدة، مطبعة مقداد، غزة، ط١، ٢٠٠٠م، ٧.

(٢) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت،٤٧٣/١.

(٣) بناء الأسلوب في شعر الحداثة: محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ١٧.

ويُعرف الأسلوب بأنه "طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها؛ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح و التأثير"[١]

إنَّ الكلام الذي يتحدث به الناس يكون ضمن نوعين إما خبرٌ أو إنشاءٌ، أما الخبر فكلام فيه صدق أو كذب، فإن طابق الواقع كان صدقاً، وإن خالفه كان كذباً، "وجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، فالأول الخبر، والثاني الإنشاء"[٢]

والخبر في اللغة مشتق من مادة "خبر"[٣] ، وهو العلم والإلمام والإحاطة، وأسلوب الإخبار "كل كلام يدخله التصديق والتكذيب، أي أن النسبة الكلامية المفهومة من النص حين تطابق ما في الخارج يكون الخبر صدقاً، والمخبر به صدقاً، أو غير مطابقة له فيكون الخبر كذباً والمخبر به كذباً"[٤]، فالأساليب إذن تنقسم إلى قسمين: أساليب خبرية وأساليب إنشائية، والباحثة ستتناول الأساليب الإنشائية في هذا البحث.

يُعرف **الإنشاء** لغةً بأنه الخلق والابتكار والارتفاع والابتداء وهو مشتق من مادة نشأ[٥]، ويجرى مصطلح "إنشاء" على نوع من الكلام يُنشئه صاحبه ابتداءً دون أن تكون له حقيقة خارجية

---

(١) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط٨، ١٩٩١م، ٤٤.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان البديع: الخطيب القزويني، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ٢٠٠٣م، ٢٤.

(٣) ينظر: لسان العرب ٤/ ٢٢٦.

(٤) البلاغة العربية تأصيل وتجديد: مصطفى الصاوي الجويني، منشأة معارف، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ١٥.

(٥) لسان العرب ١/١٧٠.

تطابقها أو يخالفها، فلا يحتمل الصدق ولا الكذب[١]، والإنشاء إذن كلام لا يحتمل الصدق ولا الكذب ، فهو عكس الإخبار الذي يحتمل الصدق أو الكذب حسب مقارنتهما معاً، وعليه فإن الفرق بينهما واضح.

كما عُرّف الإنشاء بأنه هو الذي لا يصح أن يُقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذب[٢]، وقد يتحول الإنشاء إلى خبر، والخبر إلى إنشاء، وذلك وفقاً للمخاطب، وطريقة إلقائه للجملة الخبرية أو الاستفهامية، على الرغم من أن لكلٍ من الخبر والإنشاء دلالة خاصة به، وعطفاً على ما سبق فإنه "قد يقع كل من الخبر والإنشاء موقع الآخر، فتأتي صيغة الخبر ويراد بها الإنشاء للتفاؤل أو لإظهار الرغبة أو للتحرز عن صورة الأمر أو لحمل المخاطب على المطلوب، وتقع صيغة الإنشاء ويراد بها الخبر كذلك أيضاً"[٣]

خلاصة القول إن ما احتمل الصدق والكذب كان خبراً، وما لا يحتمل الصدق والكذب كان إنشاءً، قال ابن قتيبة "وللكلام أربعة: أمراً، خبر، استخبار، ورغبة، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهى الأمر، الاستخبار، الرغبة، وواحدٌ يدخله الصدق والكذب، وهو الخبر"[٤]

أنواع الإنشاء:

الإنشاء قسمان: إنشاء طلبي، إنشاء غير طلبي.

---

(١) دروس في البلاغة: الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ١٠٧.

(٢) يُنظر: الترصيع في علم المعاني والبيان والبديع: محمد عبد القادر بن السيد محمد سليم الكيلاني، مطبعة حكومة دمشق،١٩٩٢م، ١٢.

(٣) المرجع السابق: ١٥.

(٤) أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٧.

أولاً: الإنشاء الطلبي:

وهو طلب المُخاطِب من المخاطَب أمراً ما، لم يكن موجوداً أثناء الطلب، وعرّفه البلاغيون "ما يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب "[١]

والإنشاء الطلبي له خمسة أقسام وهى: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

وهذه الأساليب سأتناولها في هذا البحث بالتفصيل من خلال آيات القرآن الكريم في جزء الأحقاف.

والجدير بالذكر أن هذا النوع من الإنشاء هو ما عُني به البلاغيون بسبب أثره في الكلام، فقد حظيت الأساليب الإنشائية الطلبية باهتمام البلاغيين والسبب في ذلك كثرة ما تخرج إليه الأساليب نحو معانٍ بلاغيةٍ أخرى، فمثلاً: الاستفهام يخرج إلى الالتماس والسخرية والإنكار و غيرها من المعاني البلاغية، وكذلك النداء والأمر والتمني والنهي، ولقد "اهتم البلاغيون بدراسة الإنشاء الطلبي، ووجههم في ذلك أنه كثير الاعتبارات وتتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الفنية ذات العطاء والتأثير على حد ما"[٢]

أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوباً وقت الطلب، ومن صيغه:

أساليب المدح والذم(نعم وبئس)، أساليب العقود(بعت واشتريت)، أساليب القسم(والله وتالله)، صيغ التعجب (ما أفعل، أفعل به)، أساليب الرجاء (عسى ولعل)[٣].

([١]) يُنظر: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة ، ١٩٩٠م، ١٩٥.

([٢]) دلالات التراكيب دراسة بلاغية: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط ٢، ١٩٨٧م، ١٩٤.

([٣]) يُنظر: بغية الايضاح لتلخيص المفتاح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الأزهر، ط ٨، ١٩٧٣م، ٢٣/٢.

أثر الأساليب البلاغية في إبراز المعاني

تكمن إشكاليةُ فهم القارئ لأيّ جملةٍ كانت في عدم معرفة المعاني المطلوبة أو المعنى المراد من هذه الجمل، سواء أكان قرآناً أم أدنى من ذلك كالشعر والنثر، ولكن من خلال التمعن في الأساليب البلاغية الواردة في النص، ومعرفة التفسير الصحيح لها، يصبح من السهل معرفة المعنى المراد.

"وقد مثلت البلاغة في كثير من جوانبها العلاقة بين الأسلوب والمعنى، وصلة هذا الأسلوب بما تتعرض له الجملة وهو الذي يدخل تحت ما سمّى بعلم المعاني الذي يختص بتتبع سمات تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، احترازاً عن الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[1]، وسواء أكانت الأساليب إنشائية أم خبرية فالدلالات البلاغية لهذه الأساليب لها دور في إظهار المعنى وإبرازه، وعند تطرقنا للقرآن الكريم كمثال على ذلك نجد أن القراءات المختلفة للآيات القرآنية تنعكس على المعاني الأسلوبية للأساليب القرآنية، حيث إن اختلاف القراءات يؤدي إلى اختلاف نوع الأسلوب، مثال على ذلك﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[2] ، ففي كلمة "أذهبتم" اختلاف في القراءات، فهناك من يقرؤها "أذهبتم"، وتكون الهمزة في هذه الحالة همزة استفهام، ومنهم من يَعُد أنه لا وجود

([1]) البلاغة والأسلوبية : محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ٢٦٠-٢٦١.

([2]) آية ٢٠ من سورة الأحقاف.

للاستفهام مما يعنى بأن الآية بهذه القراءة لا تشتمل على أسلوب إنشائي وهى بذلك تكون خبرية[1] وعليه فإن معرفة الدلالات البلاغية واختلاف القراءات للآيات يُسهم في إبراز المعاني لدى القارئ، وقياساً على ذلك فإن تحليل هذه الآيات وتفسيرها، والتمعن فيها، يُيسر للقارئ الوقوف على الأساليب البلاغية المشتملة عليها وتبيانها.

ومن المباحث البلاغية التي لها أثر في إبراز المعاني، التقديم والتأخير، الإيجاز، الإطناب، الحذف والذكر، فعلى سبيل المثال، الأصل في الجملة الذكر، ولكن ما خرج عن ذلك كان له قيمة ودلالة بلاغية مقصودة، فمثلاً في قوله تعالى" صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ "[2]، فقد تقدم الظرف الجار والمجرور بهدف الاختصاص، بمعنى أن الله تعالى مختص بصيرورة الأمور إليه دون غيره، فبدلالة التقديم والتأخير تبرز المعاني، وتتبلور لدى القارئ[3]، وهناك من الأمثلة التي تدلل على أثر التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتنكير والتعريف، في إبراز المعاني البلاغية، ما سيتم ذكره لاحقاً خلال هذه الدراسة.

وهذا ما تتناوله الدراسة في كل أسلوب على حده، وتفسير الآيات وما تشمله من أساليب، وتحليلها ومعرفة معانيها البلاغية، في ظل إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

([1]) يُنظر: الحجة في علل القراءات السبع: أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي، تحقيق عادل عبد الموجود و علي محمد معروف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧، ٣٤٧/٤.

([2]) آية ٥٣ من سورة الشورى.

([3]) البلاغة والأسلوبية ٢٧٣.

وقـفـات مع جــزء الأحقــاف

القرآن الكريم فيه من جمال الأسلوب، وقوة اللفظ، ومتانة الصورة، مالا يمكن أن يتخيله عقل، أو يدركه فهم، فهو معجزةٌ ليس فقط في كونه مناسباً لكل زمان ومكان، وإنما لاشتماله على أبلغ الكلام وأحسنه، فيجد فيه القارئ حُسناً لا يجده في غيره من الكتب.

وسور جزء الأحقاف كسائر سور القرآن الكريم، يكسوها ذات البهاء وتمتاز بنفس الإحكام، الذي تتصف به كل السور.

"الحِقف هو المعوج من الرمل، والجمع حِقاف، وأحقاف، واحقوقف الرمل والهلال، أي اعوج، والأحقاف ديار عاد"[1].

جزء الأحقاف هو الجزء السادس والعشرون من أجزاء القرآن الكريم، وقد تضمن خمس سور قرآنية، هي:(الأحقاف، محمد، الفتح، الحجرات، ق)، بلغت عدد آياته مائة وخمساً وستين آية، وتباينت هذه السور ما بين مدنية ومكية.

سميت(بسورة الأحقاف) للحديث فيها عن الأحقاف وهي: مساكن عاد في اليمن، الذين أهلكهم الله بريح صرصرٍ عاتية؛ بسبب كفرهم وطغيانهم، لقوله تعالى:" وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"[2]، وموضوع هذه السورة كسائر موضوعات السور المكية، هو إثبات أصول العقيدة

([1]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٣٤٦/٤.

([2]) آية ٢١ من سورة الأحقاف.

الإسلامية الثلاثة: التوحيد، والرسالة والوحي، والبعث والجزاء[1] ، وبلغ عدد آياتها خمساً وثلاثين آية.

أما عن سورة محمد قال صاحب الظلال:" هذه السورة مدنية، ولها اسم آخر وهو(سورة القتال). وهو اسم حقيقي لها، فالقتال هو موضوعها، والقتال هو العنصر البارز فيها، والقتال في صورها وظلالها، والقتال في جرسها وإيقاعها"[2]، بدأت السورة ببيان حقيقة الكافرين، بذمهم وتحقيرهم ووصفهم بالجهل والظلال، وحقيقة المؤمنين بتمجيدهم، وبالإذن من الله سبحانه وتعالى، بإعلان الحرب علي أعداء الدين، وقد بلغ عدد آيات السورة ثماني وثلاثين آية.

وسورة الفتح سميت به لدلالتها على فتح البلاد والحجج والمعجزات والحقائق، وقد ترتب على كل واحد منها المغفرة، وإتمام النعمة والهداية، والنصر العزيز، آيها تسع وعشرون وهى مدنية.[3]

وفي الجزء سورة جليلة ضخمة، تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة، والوجود والإنسانية، سميت سورة (الحجرات)؛ لأن الله تعالى ذكر فيها تأديب أجلاف العرب الذين ينادون رسول الله من وراء الحجرات وهي حجرات(بيوت) نسائه، المؤمنات الطاهرات –رضي الله عنهن–، وتسمى أيضاً سورة(الأخلاق والآداب)؛لأنها أرشدت إلى آداب المجتمع الإسلامي، وكيفية تنظيمه، وأشادت بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، ونودي فيها بوصف الإيمان خمس مرات، وأصول تللك الآداب خمسة وهي: طاعة الله والرسول (ﷺ)، وتعظيم شأن الرسول(ﷺ)، والتثبت من الأخبار

([1]) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٣٢٠/٢٦.

([2]) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٧٢م، ٣٢٧٨/٦.

([3]) يُنظر: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، علق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٩٥٧م،٥٣٩٨.

المنقولة، وتحريم السخرية بالناس، وتحريم التجسس والغيبة وسوء الظن[1]، لا تتجاوز ثماني عشرة آية.

وختاماً بسورة ق، وهي من السور التي سميت بأسماء الحروف الواقعة في ابتدائها مثل: طه، ص، ق، يس، لانفراد كل سورة فيها بعدد الحروف الواقعة في أوائلها، بحيث إذا دُعيت بها لا تلتبس بسورة أخرى، وفي الاتفاق أنها تسمى سورة(الباسقات)، والوجه أن تكون تسميتها هذه على اعتبار وصف لموصوف محذوف، أي سورة النخل الباسقات، وهذه السورة مكية كلها، وقد أجمع العادّون على عدّ آيها خمساً وأربعين، ومن أغراض السورة التنويه بشأن القرآن، الاستدال على إثبات البعث وأنه ليس بأعظم من ابتداء خلق السموات وما فيها، وخلق الأرض وما عليها، تنظير المشركين في تكذيبهم بالرسالة، والبعث ببعض الأمم الخالية المعلومة لديهم، ووعيد هؤلاء أن يحل بهم ما حل بأولئك، وعد المؤمنين بنعيم الآخرة[2].

([1]) يُنظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢٦/٥٤٠.

([2]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، السداد التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م،٢٦/٢٧٣.

الفصل الأول

أسلوب الاستفهام وأغراضه البلاغية

المبحث الأول: تعريف الاستفهام، أدواته، طرقه.

المبحث الثاني:

- بلاغة الأوجه القرآنية في جزء الأحقاف.
- علاقة أسلوب الاستفهام بموضوعات البلاغة.

المبحث الثالث:

- المعاني البلاغية للاستفهام.
- أسلوب الاستفهام في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية.

المبحث الأول

تعريف الاستفهام، أدواته، طرقه.

يُعد أسلوب الاستفهام من أهم الأساليب الإنشائية في اللغة وأكثرها شيوعاً، فهو متكرر في ضروب الكلام، بدءاً بأسماه وأقدسه وهو القرآن الكريم، وانتهاءً بأحاديث الناس الخاصة والعامة، وقد تضمن القرآن الكريم ذلك الأسلوب في الكثير من سوره وآياته، وفي غير القرآن مما هو أدنى منه يكاد لا يخلو أيُّ نصٍ أدبي أو قصيدةٍ شعريةٍ أو حديثٍ عابرٍ بين اثنين أو جملٍ منطوقة من هذا الأسلوب على اختلاف أدواته وطرقه.

"ولقد ذهب النحاة إلى أن الاستفهام في القرآن يختلف عن الاستفهام في كلام البشر؛ وذلك لأن المستفهم غيرُ عالم ، إنما يتوقع الجواب فيعلم به، والله (عز وجل) منفي عنه ذلك؛ لأنه يقال لا يستفهم خلقه عن شيء، فالاستفهام في القرآن غير حقيقي؛ لأنه واقع ممن يعلم ويستغنى عن طلب الإفهام وإنما يخرج الاستفهام في القرآن إلى أغراض عديدة ومنها التوبيخ والتقرير، فالله تعالى يستفهم عباده ليقررهم ويذكّرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء، فإذا استفهموا أنفسهم عنه يجدونه عندما تخبرهم به."[1]

إن بعض أساليب الاستفهام في القرآن الكريم لا يكون لها جواب؛ لأنها من الله عز وجل لعباده، وتكون في هذه الحال أساليب حقيقية تخرج إلى معانٍ بلاغية منها التقريع، والتوبيخ، والتشويق، والإنكار وغيرها من الأغراض البلاغية، "ويعد الاستفهام من مقومات التركيب اللغوي، وأسس بنيانه، شأنه شأن الأساليب الأخرى من أمر، ونهى، وتمنٍّ، ونداء، حيث انصهرت الأساليب جميعاً في بوتقةٍ واحدةٍ فشكلت بعداً جمالياً بديعياً، ومظهراً فنياً رائعاً."[2]

([1]) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: قيس اسماعيل الأوسي، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٨م، ٣٠٨.

([2]) النظم القرآني في سورة هود: مجدي أبو لحية، بحث ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩م، ١٠٨.

وسوف يعرض الفصل إلى أسلوب الاستفهام من حيث معناه لغةً واصطلاحاً، وأدواته، وطرقه، وعلاقته بأساليب البلاغة الأخرى، وأوجه القراءة لبعض السور، وأثرها في المعنى، وتعدد الآراء حول نوع الأسلوب ما بين إنشاء وخبر عند اختلاف القراءات، ثم ختاماً ببيان الأساليب الإنشائية في جزء الأحقاف وبيان معانيها البلاغية.

تعريف الاستفهام لغة:

يُعرف الاستفهام في أصل اللغة بأنه: "طلب الفهم، ومعرفة المجهول، فقد جاء في لسان العرب" فهمت الشيء: عقلته وعرفته. وأفهمه الأمر: وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً"[1]، وهو "فهمت الشيء فهماً وفَهَامِيةً: علمته، وفلان فَهِمٌ وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً، وتفهم الكلام، إذا فهمه شيئاً بعد شيء"[2]

أما الاستفهام اصطلاحاً، فله عدة تعريفات:

عرفه الجرجاني بأنه "استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو لا وقوعها، فحصولها

([1]) لسان العرب ٤٥٩/١٢.

([2]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ٢٠٠٥/٥.

التصديق وإلا فهو التصور"[١]،كما عرفه بسيوني على أنه" طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأدوات خاصة"[٢]، كما عرفه سعد الدين التفتازاني.[٣]

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن أن تخلص الباحثة إلى المزج بينها، وتعرف الاستفهام بأنه طلب معرفة شيء ما لم يكن معروفاً من قبل، وذلك باستخدام أي أداة من أدوات الاستفهام.

تعددت المصطلحات والتعريفات التي كان بينها وبين مصطلح الاستفهام إشكالية وخلط من جهة التعريف مثل مصطلح الاستعلام، الاستخبار، ومن البلاغيين والنحويين من فرق بين الاستخبار والاستفهام وهناك من جعل الاستفهام هو الاستخبار.

فالاستفهام في دلالته اللغوية عُرف بالسؤال، والاستخبار أيضاً التصق بدلالة السؤال، فالاستخبار من استخبر "واستخبره: سأله عن الخبر، وطلب أن يخبره، ويقال: تخبرت الخبر واستخبرته، وتخبرت الجواب واستخبرته، والخبر السؤال عن الخبر، واستخبرت إذا سأل عن الأخبار ليعرفها"[٤]

ومن هؤلاء النحويين والبلاغيين الذين جعلوا مصطلح الاستفهام والاستخبار بمعنى واحد على سبيل المثال لا الحصر:

([١]) معجم التعريفات: للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص١٨.

([٢]) علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني: بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار،ط٤، ٢٠١٥، ٣٧٩

([٣]) يُنظر: شروح التلخيص: مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، ٢٤٦/٢.

([٤]) لسان العرب ٢٢٧/٤.

ابن يعيش في كتابه(شرح المفصل)، حيث ذكر" الاستفهام والاستخبار بمعنى واحد، فالاستفهام مصدر استفهمت أي طلبت الفهم وهذه السين تفيد الطلب، وكذلك الاستعلام والاستخبار مصدر استعلمت واستخبرت، ولما كان الاستفهام معنى من المعاني لم يكن بدٌ من أدوات تدل عليه إذ الحروف هى الموضوعة لإفادة المعاني، وحروفه ثلاثة "الهمزة وهل وأم"[١]، وكذلك ابن فارس وتبعه أحمد مطلوب، ساويا بين مصطلحي الاستفهام والاستخبار، ولا فرق بين التعريفين عندهما[٢]

وهناك من فرق بين الاستفهام والاستخبار والسؤال ومنهم: أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق في اللغة) حيث ذكر "الفرق بين السؤال والاستفهام، أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه، وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم، ويجوز أن يكون السائل عما يعلم، وعما لا يعلم، فالفرق بينهما ظاهر"[٣]، فالاستفهام عند أبي هلال العسكري هو لطلب الفهم، ولا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو شاكٍّ في أمره، أما السؤال فهو لمعرفة المعلوم وغير المعلوم عند السائل، وقد أشار ابن فارس في كتابه (الصاحبي) إلى أن "ناساً ذكروا أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، وقالوا: ذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأن تُستخبر فتُجاب بشيء، فربما فهمته وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم تقول أفهمت ما قلته لي، قالوا: والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم"[٤]

---

(١) شرح المفصل: العلامة موفق الدين يعيش ابن على بن يعيش النحوي،٨/ ١٥٠.

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: الامام العلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ٨٧. وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٩٣م، ١٨١.

(٣) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، وعلق عليه محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة ،٣٩.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ٨٧.

فالاستخبار كما ذكره (ابن فارس) هو طلب لمعرفة الشيء لمجرد المعرفة فقط، ولكن في حالة طلب الفهم لذلك الأمر تحول المصطلح من الاستخبار إلى الاستفهام فشرط الفهم هنا واجب.

من خلال ما سبق عن الاستفهام والاستخبار والسؤال، وتتبع الباحثة للتعريفات السابقة ومعرفة أوجه الاختلاف والاتفاق بين تلك المصطلحات، ترى أنه يمكن المزج والتوفيق بينهم، وإن اختلفت مسمياتهم، إذ أن كلاً من الاستفهام والاستخبار والسؤال يُطلب فيها العلم بالشيء وفهمه، فالاستخبار والسؤال هو لمجرد العلم بالخبر فقط، أما الاستفهام فيستخدم لفهم الخبر.

أدوات الاستفهام:

تعددت أدوات الاستفهام في اللغة العربية حيث بلغت ثلاث عشرة أداة، منها:

- حروف: وهى ثلاثة: الهمزة، هل، أم.
- أسماء: مَن، ما، ماذا، أي، كم، كيف، متى، أيان، أين، أنى.

"وقد وقف البلاغيون وقفة متأنية أمام هذه الأدوات أهى أدخل في باب النحو أم في باب البلاغة؟؛ لأنها تتعلق بصحة الأسلوب لا بمزاياه الجمالية، فتعرضوا لضبط كل أداة من تلك الأدوات من حيث طبيعتها وما يسأل بها عنه، والخصائص التي تميزها عمن سواها من الأدوات، وتلك أمور قد بحثها وأفاض فيها النحاة، ولكن لما كانت هذه البحوث تتعلق بالصحة الأسلوبية، وكانت تلك الصحة هى الأساس الجوهري في كل تعبير، وهى في الوقت نفسه المهاد الذي تنبثق فيه المزايا الأسلوبية والخصائص الفنية في التعبير البليغ، بحيث لو افتقده لأصبح مسخاً شائهاً."[1]

([1])علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم: حسن طبل، مكتبة الإيمان، ط٢، ٢٠٠٤م، ٧٥.

وقد قسم البلاغيون أدوات الاستفهام إلى ثلاثة أقسام من حيث ما تطلب به: أولها: ما يطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهي "الهمزة "، ثانياً: ما يطلب به التصديق فقط، وهي: "هل " ثالثاً: ما يطلب به التصور فقط، وهو باقي ألفاظ الاستفهام".[1]

طرق الاستفهام:

أولاً: استفهام مباشر

من حيث الأداة المستخدمة في الأسلوب:

- الاستفهام بأداة مذكورة: وهى الأدوات التي تم الحديث عنها سابقاً.
- الاستفهام محذوف الأداة: وذلك من خلال حذف الأداة الدالة على الاستفهام، "ويرى النحاة أن أداة الاستفهام الرئيسة، أو ما تسمى (أم الباب) يمكن أن تحذف من الجملة اعتماداً على السياق، وتبقى الجملة جملة استفهامية، فتحذف الهمزة اعتماداً على قرينة معينة كوجود(أم) في الجملة، أما بقية أدوات الاستفهام فإنها لا تحذف، فلا تحذف "هل" خشية اللبس، وعدم الوضوح المراد بالسؤال عند حذفها؛ لأن لها معنى خاصاً في الجملة الاستفهامية(الاستفهام عن النسبة)، وأما بقية أدوات الاستفهام فلأن ما يستفهم عنه بما هو المعنى الحقيقي الذي تنصرف له الجملة، أي تتحول له كالزمان والمكان والحال أو ...إلخ."[2]

([1]) المرجع السابق ٧٦.

([2]) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام: خليل أحمد عمايرة، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٧م، ١٤٧.

فأسلوب الاستفهام إذن لا يشترط فيه وجود أداة الاستفهام في الجملة، حيث يمكن أن توحى نبرة صوت المتكلم، وتدلل على وجود استفهام في كلامه، إذ إن النغمة الصوتية للمتكلم لها من الدلالات الكثيرة ما يؤشر إلى الأسلوب المستخدم في الكلام، كالاستفهام أو النهي أو الأمر وغيرها من الإيحاءات[١]

ثانياً: استفهام غير مباشر.

كما ذُكر سابقاً فإن الاستفهام المباشر هو الذي يتم عن طريق أداة من أدوات الاستفهام، ولكن هناك استفهاماً غير مباشر، وهو ما يستفهم فيه بدون أداة من أدوات الاستفهام، وإنما من خلال كلمات دالة على السؤال، "ونقصد به تعبير المتكلم عن معنى الاستفهام بغير استعمال أداة من أدوات الاستفهام وبغير تنغيم فيستعمل المتكلم لذلك فعلاً أو اسماً يفيد هذا المعنى فيقول: أسأل، يسأل، سألني، أو يقول استفهم"[٢]، وهذا النوع من الاستفهام ورد في القرآن الكريم، فكانت الكلمات الواردة في الآيات تدلل على الاستفهام، ومثال ذلك: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾،﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾،﴿يسألونك عن الخمر﴾[٣]

---

(١) يُنظر أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ص٣٣٥

(٢) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام ١٥٢.

(٣) الآية ١٨٩ ،٢١٧، ٢١٩ من سورة البقرة.

المبحث الثاني

- بلاغة الأوجه القرآنية في جزء الأحقاف.
- علاقة أسلوب الاستفهام بموضوعات البلاغة.

بلاغة أوجه القراءات في جزء الأحقاف

هناك روايات عديدة وأوجه في قراءة بعض الآيات من جزء الأحقاف، فمن خلال اطلاع الباحثة لاحظت ما يلى:

- بلغت الآيات متعددة أوجه القراءات في الجزء ثلاثاً وثلاثين آية.
- سورة الحجرات أقل السور التي احتوت أوجهاً متعددة القراءات وهي أربعة أوجه.
- دار الاختلاف بين الروايات في الحركات، أو الحروف، أو الأساليب وهذا ما تناوله المبحث، وهو الاختلاف في القراءات للآيات المشتملة على الأساليب الإنشائية موضوع البحث.

أولاً: سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[1]

تعددت الأوجه في قراءة "أذهبتم"، فوجه من هذه القراءات جعل الهمزة استفهامية، وآخر لا وجود فيه للاستفهام، فهي خبرية؛ لأن الاستفهام فيها يفيد التقرير، والتقرير يفيد الخبر[2]، ولقد تبين لدى الباحثة أنه إذا كانت كلمة "أذهبتم" بهمزتين فإن الآية قد شملت معنى الاستفهام، ولكن إذا

([1])آية ٢٠ من سورة الأحقاف

([2]) ينظر: كتاب الحجة في علل القراءات السبع: ٣٤٧/٤، وينظر: كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها: نصر بن علي بن محمد الشيرازي النحوي، تحقيق ودراسة: عمر الكبيسي، ط١، ١٩٩٣م، ١١٧٧-١١٧٨، ينظر: كتاب جامع البيان في القراءات السبع المشهورة: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق الحافظ المقري محمد الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ٧٢١

كانت همزة مطولة أو همزة واحدة فهي تعنى الخبر، فبلاغة الأسلوب إن تضمن معنى الاستفهام كان أجدى وأقوى لما تحمله الآية من توبيخ وتقريع للكافرين لانشغالهم بملذات الحياة وعدم إيمانهم باليوم الآخر.

ثانياً: سورة محمد

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آَنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَ هُمْ﴾[1]

تعددت أوجه القراءة حول كلمة "آنفاً " فمنهم من قرأها بقصر الألف "أنفاً " وهو ما روى عن ابن كثير، وحجة ذلك هى أن أنفاً على وزن فَعِلٍ، ومنهم من قرأها بالمد "آنفاً" أي على وزن فاعل"[2]،إن أسلوب الاستفهام في الآية جاء متناسباً ومتناغماً مع قراءة آنفاً بالمد، فالغرض من الاستفهام هو السخرية من قِبل الكافرين، بأنهم بمجرد خروجهم من مجلس رسول الله (ﷺ) لم يفهموا ماذا قال، فآنفاً وردت بمعنى ماذا قال الساعة؟، وهو ما تناسب مع استفهام المشركين، ودلالة جملة حتى إذا خرجوا، أي في ذات الوقت الذي خرجوا من المجلس، وعدم مضى الوقت الطويل، وبلاغة التقديم والتأخير في الآية حيث تقديم الجار والمجرور (منهم)؛ للتأكيد على استفهام هؤلاء المشركون الذين أُوتوا العلم من الرسول(ﷺ)، والتقديم أفاد التخصيص، بأن الاستفهام جاء منهم، لا من غيرهم ممن حضروا مجلس رسول الله.

([1]) آية ١٦ من سورة محمد

([2]) ينظر: كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ١١٨٦-١١٨٧، ينظر: الحجة في علل القراءات السبع ٣٤٩

ثالثاً: سورة الحجرات

يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1]

"قرأ نافع وحده كلمة "ميّتا" بالتشديد، أما باقي القُراء "ميْتا" بالتخفيف، والوجه أن الأصل ميّت بالتشديد كسيّد وهيّن وليّن، وقد تكون مخففة بياء ساكنة فيقال مَيْت، كما يقال هَيْن ولَيْن، وذلك لقول الرسول(ﷺ)" المؤمنون هينون لينون"[2]، بالتخفيف فلا فرق بين المخفف والمشدد في المعنى، فالعرب كانت تستعمل التشديد في حالة الذم أما التخفيف في حالة المدح ولكن لا اختلاف في المعنى ولكن الدلالة تختلف"[3]

وترى الباحثة أنه لا فرق بين القراءتين ولكن حسب المعنى الإجمالي لهذه الآية فإن الدلالة لهذه الآية هي الذم فالأصل هو التشديد كما قرأها نافع مشددة لإظهار بشاعة وقبح هذا الفعل وشناعته.

([1]) آية ١٢ من سورة الحجرات.

([2]) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٥م، م٢،(ح،٩٣٦)، ٦١٠، وقال: هذا حديث حسن.

([3]) ينظر: كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها: نصر بن علي الشيرازي النحوي ١١٩٧، وينظر: كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناجي، المكتبة الإسلامية، ٥ / ٢٨٩-٢٩٠.

رابعاً: سورة ق

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾[1]

إن اختلاف القراءات في الآية كلمة" نقول"، فقد قرأها نافع وعاصم (يقول)، أما الباقون مثل حفص بن عاصم (نقول)، فقراءة (يقول) استناداً إلى أن الفعل مسند إلى ضمير اسمه الله (سبحانه وتعالى)، أما (نقول) من خلال النظر إلى ما سبقها من الآيات ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ"[2]، ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾[3]، لأن فعلتُ وفعلنا من الله تعالى واحد [4]، وتكرار السؤال بـ(هل) لَتوبيخٌ لمن أُدخلها وزيادة في مكروهه، وقول جهنم (هل من مزيد)، أما أن تكون حقاً قد امتلأت أو هل من مزيد تغيظّاً على من عصى[5]، وترى الباحثة أن القراءة تكون على حسب ما يسند إليه الفعل، فإما أن الله سبحانه وتعالى يقول لجهنم هل امتلأت فيكون الفعل (يقول)، أو أنه وبالنظر إلى ما سبق هذه الآية من آيات، مثل الآية الثانية والعشرين والثامنة والعشرين، فالكلام فيها بصيغة(نا) الفاعلين مثل (كشفنا)، وواو الجماعة مثل (تختصموا)، فالفعل في هذه الحال يكون(نقول).

([1]) آية٣٠ من سورة ق.

([2])آية ٢٢ من سورة ق.

([3]) آية ٢٨ من سورة ق.

([4]) ينظر: كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ١٢٠٠، وينظر: كتاب التيسير في القراءات السبع: للإمام أبي عمرو عثمن بن سعيد الداني ٢٠٢، ينظر: كتاب المبسوط في القراءات العشر: لأبي بكر أحمد الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ٤١٤.

([5]) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه: أبو اسحاق ابراهيم بن السري، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م، ٤٧/٥.

علاقة أسلوب الاستفهام بموضوعات البلاغة

إن البلاغة علمٌ من علوم اللغة العربية، وهي "مرتقى علوم اللغة وأشرفها فالمرتبة الدنيا من الكلام هى التي تبدأ بألفاظ تدل على معانيها المحددة، تم تتدرج حتى تصل إلى الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة، وقد قيل إذا تكلم المرء بلغة ما فهو يحدد هويته الحضارية والانسانية، وإذا امتلك لغته، حدد مركزه في المجتمع، فاللغة وإن كانت وسيلة التعبير عن الفكر، فهي تمثل الفكر كله ولا عجب بعد ذلك إذا تحققت أسباب التطور والرقى نتيجة العناية بها"[١]

وتنقسم إلى ثلاثة علوم رئيسة، هي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، ويُعد أسلوب الاستفهام أحد الأساليب التي يُعنى بها علم المعاني، حيث إن علاقة أسلوب الاستفهام بعلم المعاني كعلاقة الجزء بالكل، وكذلك علاقة علم المعاني بالبلاغة كعلاقة الجزء بالكل، وعليه فإن أسلوب الاستفهام هو جزء من البلاغة، وهو شديد الصلة بالأساليب الأخرى، اعتني به البلاغيون، وتناولت دراسته كتب ومصادر بلاغية متعددة

و"البلاغة مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري، والمبالغة في الأمر: أن تبلغ فيه جهدك وتنتهى إلى غايته، وقد سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب سامعه فيفهمه، ويقال بلغ الرجل بلاغة، إذا صار بليغاً، ورجل بليغ: حسن الكلام، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، ويقال أبلغت في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه"[٢]

([١]) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ٣.

([٢]) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧٢م، ٧.

سيتم عرض بيان إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وعلاقة ذلك بأساليب الاستفهام الواردة في جزء الأحقاف، وعلاقة أسلوب الاستفهام في آيات الجزء بموضوعات البلاغة من استعارة، ومجاز، وطباق، وجناس، وتورية، والتفات، وغيرها من الموضوعات الأخرى، وللتفريق بين موضوعات علوم البلاغة الثلاثة الوارد ذكرها فيما سبق، سأعرض لكل منها تعريفاً مبسطاً حتى يتسنى لي ذكر علاقة أسلوب الاستفهام في جزء الأحقاف بهذه الموضوعات.

علم المعاني:

"هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام، على ما يقتضي الحال ذكره."[1]، وعلم المعاني يختص بموضوعات التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، الخبر والإنشاء، الإيجاز والإطناب.

علم البيان:

"هو علم يبحث في الطرق المختلفة للتعبير عن المعنى الواحد، وهو يتألف من المباحث التالية: التصريح والمواراة، التشبيه، المجاز والمجاز المرسل، الاستعارة، الكناية."[2]

علم البديع:

"علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة "[3]

([1]) مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف علي السكاكي، دار الرسالة، بغداد، ط ١، ١٩٨٢م،٣٤١.

([2])الإيضاح في علوم البلاغة ٥.

([3]) التلخيص في علوم البلاغة: الإمام جلال الدين محمد الدمشقي القزويني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م، ٨٦.

بعد عرض أقسام البلاغة الثلاثة السابقة، سأسلط الضوء في هذا المبحث على أسلوب الاستفهام في جزء الأحقاف وعلاقته بموضوعات البلاغة.

أولاً: سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

إن قدرة الله عز وجل شملت كلّ شيء، من خلقٍ للسماوات والأرض، ومن كتبٍ سماوية نزلت على رسله، وغير ذلك من الأمور التي تدلل على قدرته عز وجل، وفي الآية يطلب الله (عز وجل) ممَن يعبدون غيره بأن يأتوا بأي شيء خلقه معبودهم، ومن الأساليب البلاغية في هذه الآية أسلوب الأمر في قوله "أروني"، الذي توافق مع أسلوب الاستفهام "ماذا خلقوا"، فأسلوب الأمر تعجيز وتوبيخ وتبكيت لهؤلاء المشركين وأسلوب الاستفهام جاء توبيخاً لهم".[2]، وهنا طلب الرؤية للاستفهام المذكور لأي شيء تم خلقه في هذه الأرض فالرؤية هى حاسة البصر المتوافقة مع رؤية ما خلقه المشركون، فإذا كان المشركون يعبدون مع الله ما هو قادر على الخلق في السماء والأرض فليأتوا به، كما جاءت كلمة "أروني"، تأكيداً لكلمة أرأيتم"، وفيها جناس مماثل، وفي قوله "ماذا خلقوا من الأرض" جاءت كلمة "الأرض" بياناً للإبهام في أداة الاستفهام "ماذا"، وسبقت بـ "مَن" للتبغيض.

([1]) آية ٤ من سورة الأحقاف.

([2]) الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم: محمد حسين سلامة، دار الأفاق العربية، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٢م، ٣٠٥، ينظر: كتاب إعراب القرآن الكريم وبيانه: محي الدين الدرويشى، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ١٦٧/٩.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[1]

إن الأصنام التي يعبدها المشركون، لا ولن تستجب لعابديها البتة، حتى يوم القيامة لن تنفعهم أصنامهم وهذا ما تؤكده الآية الكريمة، وفيها "نكتة بلاغية في قوله تعالى: "إلى يوم القيامة" فهي نكتة حسنة رائعة وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ومن شأن الغاية انتهاء الشيء عندها، لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية؛ لأنهم في القيامة أيضاً لا يستجيبون لهم، فالوجه أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها، وإن وافق ما تبعها إلا إنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثاني، والتغليب حيث غلب العاقل على غيره، على سبيل المجاراة معهم، حيث عبر عن الأصنام وغيرها بضمير العاقل لما لها عند الكفار وعابديها ميزة وأهمية، ولكنها لا تضر ولا تنفع"[2]، وواقع الحال أن ما يعبده المشركون ما هو إلا جمادات لا تنفع ولا تضر، والناظر إلى الآية الكريمة ليجد ما يحمله الاستفهام من إنكار لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله، فلا أحد أشد ضلالة منهم.

([1]) آية ٥ من سورة الأحقاف.

([2]) اعراب القرآن الكريم وبيانه: م٩، ص١٦٨، يُنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: العلامة جار الله أبى القاسم الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض، مكتبة العبيكات، الرياض، ط١، ٤٩٢/٥.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين﴾[1]

لقد دلت هذه الآية على صدق نبوة محمد(ﷺ)، وقد شهد بها عالم من اليهود فآمن، ولكن الكفار استكبروا فلم يؤمنوا، والأساليب البلاغية البديعية في الآية (شاهد وشهد) جناس اشتقاق، (آمن واستكبرتم) طباق[2]، والطباق يوضح المعنى ويقويه، حيث إن الذي آمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو من بني اسرائيل، وهناك من كفر بهذه النبوة منهم، وجاء الاستفهام هنا؛ لتوبيخ الكافرين الذين استكبروا، بالرغم من أن بينهم مَن شهد بصدق نبوة الرسول(ﷺ)، فالله سبحانه وتعالى لا يهدي القوم الظالمين.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[3]

إن أسلوب الاستفهام في هذه الآية جاء متوافقاً مع أسلوب القصر، إذ قصر هذا الكافر ما طلبه منه والداه في الإيمان بالله والإيمان بالبعث، وسؤاله لهما أتريدانني أن أُخرج وأُبعث من القبر؟ وهو لم ير أحداً قد بُعث من قبل، يشير إلى أنه قد قصر طلبهم له على أساطير السابقين وأقاويله

([1]) آية ١٠ من سورة الأحقاف.

([2]) ينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ٣٠٥.

([3]) آية ١٧ من سورة الأحقاف.

وقصصهم، وجملة (إن وعد الله حق) تعليل للأمر بالإيمان، وتعريض له بالتهديد من أن يحق عليه وعد الله"[1]

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[2]

إن العرض هنا يكون للكافرين دون غيرهم، فهم الذين يعرضون على هذه النار ويعذبون بها، والعرض مجاز للتعذيب، وفيه تهكم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده"[3]، وأسلوب الاستفهام في الآية(أذهبتم) جاء بياناً لسبب عرضهم على تلك النار وتعذيبهم بها(المجاز)، وفي يوم القيامة الذي يُعرض فيه الكافرون على النار ليروا أعمالهم ويحاسبون عليها، ينبههم الله عز وجل ويذكرهم بمتاع الدنيا الذي لم يستفيدوا منه ولو قليلاً، حيث تمتعوا في الدنيا وجاء يوم الحساب، وفي الآية ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ بيانٌ وترتيبٌ لنتيجة كفرهم وتمتعهم بالدنيا، وتركهم للآخرة، والباء في قوله﴿ بما كنتم تستكبرون﴾ للسببية[4]، وجاء الاستفهام هنا ليبين العلاقة بين السبب والنتيجة، ويفيد التهويل.

([1]) تفسير التحرير والتنوير: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، السداد التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٢٦/ ٣٩. يُنظر: كتاب الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه: تصنيف محمود صافي، دار الرشيد، دمشق ، ط٣، ١٩٩٥م، ١٨٥/٢٦/١٣.

([2]) آية ٢٠ من سورة الأحقاف.

([3]) تفسير التحرير والتنوير: ٢٦/ ٤٢، وينظر كتاب الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٢٦/ ١٨٨، يُنظر: صفوة التفاسير: محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، م٣، ١٩٨١م، ١٩٨/٣، وينظر: كتاب الكشاف: ٥/ ٥٠٣.

([4]) تفسير التحرير والتنوير: ٤٢/٢٦-٤٣.

ومن الأساليب البلاغية التي تتعلق بتراكيب الجملة وجود حذف في الآية، عند قوله تعالى:﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ..... ﴾، فالأصل في هذه الآية "الكلام مقول قول محذوف تقديره: ويقال للذين كفروا يوم يعرضون على النار أذهبتم طيباتكم"[1]

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

إن التوقف عن العمل يكون في أغلب الأحوال بعلة التعب، وفي هذه الآية المقصود أن الله (سبحانه وتعالى)، لم يتعب في خلق السموات والأرض، وهو قادر على خلقهن وإحياء الموتى من جديد، فقوله: "لم يعي بخلقهن" مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأنه مجاز عن الانقطاع عن العمل؛ لأن العي أي التعب مستحيل عليه تعالى، وتعدية كلمة (بخلقهن) بالباء هنا بلاغة؛ ليفيد انتفاء عجزه عن صنعها، وانتفاء العجز في تدبير مقاديرها، ومناسباتها"[3] ، وأسلوب الاستفهام موجه لمَن يدعون أن الله (عز وجل) غير قادر على إحياء الموتى، فالله (سبحانه وتعالى) هنا يطلب منهم أن ينظروا، ويتأملوا في خلق الله للسموات والأرض، دون كلل وتعب وتوقف، أليس الذي بمقدوره فعل ذلك من اليسير عليه إعادة الإحياء من جديد، فقدرته تعالى لا تختص بمقدور دون مقدور، وهو ما يعرف ببلاغة نهاية الآيات.

([1])المصدر السابق ٤٢.

([2]) آية ٣٣ من سورة الأحقاف.

([3]) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه : م ٩، ص ١٩٥، وينظر: كتاب الجدول في إعراب القرآن: م١٣، ٢٦/ ٢٠١.

قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]

تعددت الأساليب في هذه الآية، فمنها الأمر "اصبر"، ومنها النهي "لا تستعجل"، ومنها الاستفهام "فهل يهلك"، والأساليب المذكورة كلها متناسقة ومنسجمة مع غاياتها، في الآية يأمر الله سبحانه وتعالى رسولنا الكريم(ﷺ)، بالصبر كصبر أولى العزم، وعدم استعجال العذاب للكافرين؛ لأنه آتٍ لا محالة، ثم يأتي الاستفهام بإفادته لمعنى النفي، متبوعاً بأسلوب القصر؛ ليُبين أن الهلاك لا يكون إلا لمثل هؤلاء الفاسقين، و"تعريف القوم تعريف الجنس وهو يفيد العموم أي كل القوم الفاسقين، فيعم مشركي مكة الذين عناهم القرآن فكان لهذا التفريع معنى التذييل"[2].

ثانياً: سورة محمد

يقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾[3]

لقد تضمنت الآية السابقة مقارنةً، توضح الفرق بين فريقين، أولهما: مَن كان ثابتاً على حجةٍ بينةٍ من ربه، وهى كتابه الذي بُعث به سيدنا محمد(ﷺ)، وثانيهما: مَن زين له الشيطان سوء أعماله من الشرك والمعاصي، والآية تستنكر أن يكون كلا الفريقين متساويين ومتعادلين، عند الله عز وجل، وتأكيداً على ذلك جاء الاستفهام في الآية ليكون رادعاً لفريق الضلالة حتى ينصرفوا عن ضلالهم. ولبيان جزاء الفريقين لا بد من توضيح العلاقة بين الآية السابقة، والآية ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ

([1]) آية ٣٥ من سورة الأحقاف.

([2]) تفسير التحرير والتنوير: ٢٦/ ٦٩، ينظر: صفوة التفاسير: ٣ / ٢٠٢.

([3]) آية ١٤من سورة محمد.

لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[1] ، حيث إن الآية الأولى توضح نتيجة وجزاء كلا الفريقين، الفريق الأول وهم المهتدون وجزاؤهم الجنة، وما فيها من أنهار وشراب. أما الفريق الثاني فهم الكافرون وجزاؤهم النار بما فيها من ماء حميم وغيره من ألوان العذاب، وفى الآية الخامسة عشرة إطناب حيث تم تكرار كلمة أنهار أربع مرات مع تعدد أنواع هذه الأنهار، ولقد جاء ترتيب هذه الآيات في سياق مشوق لنعيم الجنة، إذ إن المتذوق لهذه الأنهار الأربعة يجد فيها ما لم يجده في أنهار الحياة الدنيا،" فالنهر الأول من ماءٍ غير آسنٍ أي غير منتن، لا متغير الطعم ولا الرائحة، والنهر الثاني من لبنٍ لم يتغير طعمه إلى الحموضة، كما يتغير لبن أهل الدنيا، والنهر الثالث من خمرٍ لذيذٍ ويقال "لا يصدعون عنها ولا ينزفون"، وعسل النهر الرابع ليس فيه العكر ولا الكدرة ولا الردي كعسل أهل الدنيا، وقيل أن هذه الأنهار الأربعة تتفجر من الكوثر إلى أهل الجنة ويقال من تحت شجرة طوبى إلى أهل الجنة.[2]

يقول الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[3]

في الآية أسلوب استفهام أداته(هل)، مترابطٌ في دلالاته، وبلاغته بما يرمي إليه الخطاب القرآني البلاغي، الذي عُرف بالالتفات، فالحديث موجهٌ للمنافقين في قوله تعالى "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ"[4]، فقد كان الخطاب بصورة الغيبة، ثم انتقل

([1]) آية ١٥ من سورة محمد .

([2]) يُنظر: صفوة التفاسير: ٢٠٩/٣، يُنظر: الكشاف: ٥/ ٥٢٢.

([3]) آية ٢٢ من سورة محمد.

([4]) آية ٢١ من سورة محمد.

إلى صورة المخاطبة؛ ليكون أبلغ في التوكيد، وللتقريع، والتوبيخ لهم، وهذا ما أفاده الاستفهام[1]، أي فلعلكم إن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2]

إن أسلوب الاستفهام(أفلا) في هذه الآية، جاء بأداة الاستفهام "الهمزة"، التي تدل على التصديق في هذا السياق، وقد تلاءم ذلك مع الفعل(يتدبرون) الذي يتطلب التأمل والتفكر في القرآن الكريم، وهو متعلقٌ بالقلب؛ لأن القرآن الكريم يخاطب القلب الذي تقع فيه خشية الله عز وجل، وإن المتأمل للسياق القرآني ليستشعر مدى التآلف والانسجام بين أسلوب الاستفهام والاستعارة في قوله تعالى(على قلوب أقفالها)، حيث إن الاستفهام الإنكاري تناسب مع الصورة البلاغية التي أقرت بالإنكار التام للقرآن الكريم، و"مجيء كلمة قلوب نكرة فيه وجهان: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك، أو يُراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين، وإضافة الأقفال؛ فلأنه يُراد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح، وفي قوله تعالى "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" استعارة مكنية حيث شبه قلوبهم بالصناديق واستعار لهم شيئاً من لوازمها وهى الأقفال المختصة بها لاستبعاد فتحها واستمرار انغلاقها"[3]،

---

(1) يُنظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٢٦/ ٢٢٩.

(2) آية ٢٤ من سورة محمد.

(3) ينظر: صفوة التفاسير: ٣/ ٢١٥، ينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم٣٠٩، ينظر: الكشاف:٥/ ٥٢٦.

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾[1]

توضح الآية أن المنافقين الذين في قلوبهم شك ونفاق، سيكشف الله أمرهم لعباده المؤمنين ولقد ربط الله سبحانه وتعالى مرض القلوب بالنفاق والحقد؛ لأن هذه الصفات يخفيها صاحبها في قلبه ولا يُظهرها للمؤمنين فيكون ظاهره سليماً وباطنه أي قلبه مريضاً، فجعل محلها القلب؛ لأنه عضوٌ باطنٌ خفي كهذه الأمراض غير الظاهرة للعيان تماماً، والاستفهام في الآية متناغم ومترابط مع "الاستعارة التصريحية حيث شُبه المرض النفسي بالمرض الجسدي إذ أن كلاً منهما يتلف المرء وينغص عليه حياته وصرح هنا بالمشبه به دون المشبه والاستعارة أبلغ لأن الأمراض الجسدية ظاهرة للعين بادية الأثر"[2]، والاستفهام الذي أفاد إنكار هؤلاء المرضى، أن الله سيفصح عما بداخلهم، لكن الله (سبحانه وتعالى) بذكره (أم) المنقطعة بمعنى (بل) أبعد عنهم ذلك الأمر.

ثالثاً: سورة الفتح

يقول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[3]

في الآية طباق في قوله تعالى "أراد بكم ضراً"، "أو أراد بكم نفعاً" ، والهدف منه توضيح المعنى المراد وتقويته، كما تضمنت الآية فناً من فنون البلاغة ألا وهو فن اللف والنشر في قوله تعالى: "فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً"، فالأصل فمن يملك لكم من

([1]) آية ٢٩ من سورة محمد.

([2]) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٦/١٢٠.

([3]) آية ١١ من سورة الفتح.

الله شيئاً إن أراد بكم ضراً ومن يحرمكم النفع إن أراد بكم نفعاً، لأن مثل هذا النظم يستعمل في الضر.[1] والعلاقة متناسقة ومترابطة بين أسلوب الاستفهام وفن اللف والنشر في الآية، حيث الإرادة والقدرة بيد الله سبحانه وتعالى ولا يستطيع أحد إلحاق الضرر بآخر أو دفع النفع عنه غيره سبحانه وتعالى، وما قدموه من أعذار بسبب تخلفهم_ وهى الاشتغال بالأموال والأهل_ فقد قال سبحانه وتعالى رداً عليهم "بل كان الله بما تعلمون خبيراً" و "بل" هنا إضراب لإبطال قولهم وعذرهم، وتذكيراً بأن الله سبحانه وتعالى خبير بما يعملون.

رابعاً: سورة الحجرات

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[2]

عرضت الآية السابقة صورة بشعة لمَن يغتاب أخاه المسلم، ومن بلاغة القرآن أنه قد بين هذه الصورة من خلال بيان وجه الشبه ممثلاً ذلك في قوله: "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه "وفيه استعارة تمثيلية حيث شبه حال من يغتاب أخاه المسلم ويذكره بسوء في غيبته بما يكره بحال مَن يأكل لحم أخيه وهو ميت، فكما تكرهون أكل لحم الميت عليكم كره الغيبة والابتعاد عنها وفي ذلك بيان وإظهار لشناعة الفعل وقبحه، حيث جعل الإنسان أخاً وجعله أيضاً ميتاً"[3]، وهناك انسجام وتآلف بين أسلوب الاستفهام التقريري والاستعارة التمثيلية، فالاستفهام التقريري هنا للإقرار بكراهية الفعل المعبر عنه في الاستعارة فلا أحد يحب أن يأكل لحم الميت.

([1]) ينظر: اعراب القرآن الكريم وبيانه ٩ / ٢٣٨.

([2]) آية ١٢ من سورة الحجرات.

([3]) تفسير التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٥٥، ينظر: الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم ٣١٦، ينظر: صفوة التفاسير٣/ ٢٣٦.

خامساً: سورة ق

قال تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1]

المتأمل في الآية يجد أن المشركين، غير مؤمنين بحقيقة البعث، فقد جاء أسلوب الاستفهام لبيان إنكار المشركين لهذه الحقيقة، ولكن الله (سبحانه وتعالى) يؤكد لهم قدرته على الخلق، وعلى البعث من جديد ، فمن خلال عرض بعض الفنون البلاغية الواردة في الآية مثل: التعريف والتنكير حيث "عرف كلمة "الخلق" الأولى، ونكر "الخلق الجديد"، والغرض من ذلك جعله دليلاً على إمكان الخلق الثاني بطريقة الأول، أي إذا لم يعي تعالى بالخلق الأول على عظمته فالخلق الآخر أولى أن لا يعبأ به، وتنكير كلمة "البس" من التعظيم والتفخيم وتنكير "خلق جديد" للتقليل منه والتهوين لأمره بالنسبة إلى الخلق الأول، ويحتمل أن يكون للتفخيم، كأنه أمر أعظم من أن يرضى الإنسان بكونه متلبساً عليه، مع أنه أول ما تُبصر فيه صحته"[2]

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [3]

إن الحوار القرآني في الآية متمثلٌ بين الله عز وجل وبين جهنم وذلك يوم الحساب في صورة تمثيلية تخيلية حيث" التمثيل فيه سؤال وجواب وهذا التمثيل والمشهد يوم القيامة يوم الحساب يوم تكون جهنم قد جاء دورها في الحساب، وجيء على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها

([1]) آية١٥ من سورة ق.

([2]) إعراب القرآن الكريم وتبيانه ٩/ ٢٨٦.

([3]) آية ٣٠ من سورة ق.

والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الناس فوجاً فوجاً حتى تمتلئ، أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم"[1]

(1) المصدر السابق ٢٩٣.

المبحث الثالث

- المعاني البلاغية لأسلوب الاستفهام .
- أسلوب الاستفهام في جزء الأحقاف .

المعاني البلاغية للاستفهام

إن صميم البحث البلاغي هو الأساليب الإنشائية وخروجها لمعانٍ بلاغيةٍ أُخرى، ولقد اختلفت آراء البلاغيين في المعاني التي تُستفاد من صيغة الإنشاء، فهو إما مجاز أو كناية أو من مستتبعات التراكيب، "فمنهم من يرى ما يستفاد من صيغة الإنشاء أنه من قبيل المجاز، ومنهم من يرى أنه من قبيل الكناية، ومنهم من يرى أنه من مستتبعات التراكيب"[١]، فسعد الدين التفتازاني يرى أن "الكلمات الاستفهامية كثيراً ما تُستعمل في غير الاستفهام مما يُناسب المقام بمعونة القرائن وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أي نوع من أنواعه لما لم يحم أحد حوله"[٢]، فهو يُرجع دلالة الاستفهام على غير معناه الحقيقي إلى المجاز، وقد حدد الدسوقي نوع هذا المجاز، فقال: هو "مجاز مرسل أو كناية أو أنه من مستتبعات الكلام"[٣]

فالمعاني البلاغية مرتبطة بالسياق الواردة فيه، والأساليب البلاغية لها معانٍ بلاغية متعددة تُستخرج من سياق الكلام، والوقوف على قرائن الأحوال، ليُربي ويُنمي ملكة الذوق عند الدارس.

قد تعددت أساليب الاستفهام في جزء الأحقاف، حيث كان ورودها في سور الجزء في اثنين وثلاثين موضعاً، كما تنوعت أغراضها حسب الموقف الذي ذكرت فيه ما بين نفيٍ وتعجبٍ وتهكمٍ وإنكارٍ وغيرها من الأغراض الأخرى، ولا يخفى على أحد بأن "المعاني التي نعرفها لأدوات الاستفهام تدور كلها حول المعنى الحقيقي للاستفهام، أعنى (طلب الفهم)، ولكن أساليب الاستفهام

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ٢ / ٣٨.

(٢) الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم في علوم البلاغة: السيد الشريف الجرجاني، قرأه وعلق عليه رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ٢٦٢.

(٣) ينظر: شروح التلخيص ٢٩٣.

لا تجري دائماً هذا المجرى، بل كثيراً ما تخرج في اللغة الأدبية إلى معانٍ ودلالات أخرى فنية، والتقاط تلك المعاني والدلالات من الأساليب الفنية للاستفهام هو الميدان الحقيقي لعمل البلاغي ودارس الأدب."[١]

ومن المعاني التي ذكرها البلاغيون لأسلوب الاستفهام ما يلي:

- استفهام الإثبات: يأتي للإثبات مع التوبيخ، كما في قوله تعالى: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة﴾[٢]
- استفهام الاستبطاء واستفهام الاسترشاد، وقد مثل السيوطي لكلٍ منها بقوله تعالى: ﴿متى نصر الله﴾[٣]،﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾[٤]

وقد تعددت معاني الاستفهام وأغراضه البلاغية بين استفهام التسوية واستفهام التشويق واستفهام الانكار، واستفهام الأمر، وغيرها من الأغراض البلاغية.[٥]

يعرض هذا المبحث أسلوب الاستفهام في جزء الأحقاف ودلالاته البلاغية والمعاني التي يخرج عنها.

---

(١) علم المعاني في الموروث البلاغي ٨١-٨٢.

(٢) آية ٩٧ من سورة النساء.

(٣) آية ٢١٤ من سورة البقرة .

(٤) آية ٣٠ من سورة البقرة.

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ٣/ ٢٤٠-٢٤١.

أسلوب الاستفهام في جزء الأحقاف

أولاً: أسلوب الاستفهام في سورة الأحقاف

ورد أسلوب الاستفهام في اثنين وثلاثين موضعاً في جزء الأحقاف، هي كالتالي:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

لقد تضمنت الآية السابقة أسلوبي استفهام، الأول جاء باستخدام (الهمزة)، والآخر أداته (ماذا)، والسؤال في الآية موجهٌ من الله عز وجل للمشركين؛ ليأتوا بأمثلةٍ على الخلق الذي خلقته آلهتهم، سواء أكان في الأرض أم في السماء، أم كتاب يحوى بين طياته ما يؤكد أن لله شريكاً، ويقول الإمام النيسابوري: "أترون الذين تعبدونهم من دون الله أخبروني عنهم وبأي شيء أوجبتم لهم شركة مع الله في العبادة لشيء خلقوه في الأرض "أم لهم شرك في السموات "أي شركة في خلقها فأتوني بكتاب من قبل القرآن فيه برهان ما تدعون من عبادة الأصنام أو أي بقية من علم عن الأولين أن لله شريكاً"[2]

وبالرجوع إلى أساليب الاستفهام المستخدمة في الآية، فإن الأول (أرأيتم) وفيه حرف الاستفهام "الهمزة، وثانيها(ماذا) وهو اسم استفهام، وكلا الأسلوبين أفادا التوبيخ، ومروراً على(أم) فهي منقطعة بمعنى(بل) وتتضمن معنى الإنكار، والآية في مجملها تضمنت التوبيخ للمشركين

([1]) آية ٤ من سورة الأحقاف.

([2]) الوسيط في تفسير القرآن الكريم: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٤م،١٠٣/٤.

لإشراكهم بالله وعدم قدرتهم على الإتيان بأي شيء خُلق من قبل ما يعبدون سواء في السموات أم في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[1]

كلنا يعرف بأن الأصنام لا تنفع ولا تضر عابديها، ومهما دعوها لم ولن تستجيب لهم، ولن تلبى الدعاء ما بقيت الدنيا وحتى قيام الساعة، ولكن المشركين لا يعون ذلك، ولا يؤمنون به، فهم بذلك في ضلالٍ شديد، يقول الزمخشري:" معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام، حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام، ويدعون من دونه جماداً لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد فهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة، وإذا قامت القيامة وحشر الناس : كانوا لهم أعداء، وكانوا عليهم ضداً، فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة، لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة، وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم"[2]

وفي الآية اسم الاستفهام(مَن) وهو يفيد التصور أي تعيين المفرد، وقد خرج عن معناه الحقيقي، واختلفت الآراء حول المعنى الذي خرج إليه الاستفهام أهو التوبيخ أم الإنكار؟، ولقد ذكر الزمخشري أن "معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام"[3].

([1]) آية ٥ من سورة الأحقاف.

([2])الكشاف: ٥/ ٤٩٢.

([3])المرجع السابق ص ٤٩٢.

وذكر الشوكاني "الاستفهام في هذه الآية يفيد التوبيخ والتقريع"[١]، وذكر ابن عاشور "الاستفهام هو استفهام انكار وتعجب، والمعني لا أحد أشد ضلالاً وأعجب حالاً ممن يدعون من دون الله من لا يستجيب له دعاءه فهو أقصى حد من الضلالة"[٢]،

ولمعرفة الغرض البلاغي في هذه الآية سأفرق بين غرضين وهما التوبيخ والتقريع، الإنكار والتعجب.

أولاً: استفهام التوبيخ والتقريع

ذكر أحمد مطلوب "أن استفهام التوبيخ جعله البعض من قبل الإنكار، إلا أن الأول إنكار إبطال وهذا الإنكار توبيخ والمعنى أن ما بعده واقع جدير بأن يُنفى، فالنفي هنا قصدي والإثبات قصدي ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضاً"[٣]

ثانياً: استفهام الإنكار

ذكر السيوطي "المعنى في استفهام الإنكار النفي وما بعده منفي لذلك تصحبه "إلا" كقوله تعالى:﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾[٤]، وكثيراً ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى "لم يكن" وفى المستقبل بمعنى "لا يكون"، كقوله تعالى: ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾[٥]"[٦]

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، حققه عبد الرحمن عميرة، ٥/ ١٨.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١١/٢٦.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م، ١١١.

(٤)آية ٣٥ من سورة الأحقاف.

(٥) آية ٤٠ من سورة الإسراء.

(٦) معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٧٣م، ٤٣٢/١.

مما سبق يتضح أن أسلوب الاستفهام في الآية أفاد معنى الإنكار والتوبيخ، فلا أحد أشد ضلالاً ممن يعبد الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تجيب الدعاء.

والباحثة هنا تتبنى ما ذهب إليه الزمخشري وابن عاشور والشوكاني فيما أفاده أسلوب الاستفهام في هذه الآية، وهو الإنكار والتوبيخ، حيث أن كثير من الأغراض تتلاقى في الأسلوب الواحد.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]

يستمر المشركون في تكذيب الرسول(ﷺ) ولكن هذه المرة بصورة أشد، حيث يفترون عليه(ﷺ) بأنه قد جاء بالقرآن الكريم من تلقاء نفسه، ولكن رسولنا الكريم يخبرهم بأن كلامهم لو كان صحيحاً فإنهم لن يستطيعوا رد العقاب الذي سيحل بهم من الله، فكيف يقوى على الافتراء عليه من أجلهم، والله أعلم بما يقولون، ويقول الإمام القرطبي: "أيقولون افتراه أي تقوّله محمد، وهو إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً، ومعنى الهمزة في "أم" الإنكار والتعجب، والمعنى أن محمداً كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله قل إن افتريته لا تقدرون على أن تردوا عني عذاب الله فكيف افتري على الله لأجلكم، ولكن الله أعلم بما تخوضون فيه من التكذيب وهو يعلم صدقي وأنكم مبطلون وهو الغفور لمن تاب الرحيم بعباده المؤمنين"[2]، ومن خلال تتبع الباحثة لبعض من كتب البلاغة والتفاسير وإعراب القرآن الكريم، كان هناك إجماع على أن (أم) هي منقطعة بمعنى(

([1]) آية ٨ من سورة الأحقاف.

([2]) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م،١٩/١٨٢-١٨٣.

بل)، متضمنة لهمزة الاستفهام الإنكاري، والاستفهام في الآية خرج من معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار والتعجب[1].

قال تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]

في الآية استكمالٌ للآيات السابقة، وتوبيخٌ لحال المشركين عندما يعرفون حقاً بأن القرآن الكريم من عند الله عز وجل، وقد كفروا به، وتشير الآية أنه على الرغم من أن هناك من بني إسرائيل مَن آمن بنبوة محمد(ﷺ)، إلا أن ذلك لم يزد المكذبين والمنكرين إلا كفراً واستكباراً، والله لن يهدي القوم المعاندين المستكبرين، ويقول الصابوني: "أخبروني يا معشر المشركين إن كان هذا القرآن كلام الله حقاً وقد كذبتم به وجحدتموه كيف يكون حالكم؟ وقد شهد رجل من علماء بني اسرائيل على صدق القرآن فآمن به واستكبرتم أنتم عن الإيمان، ألستم أضل الناس وأظلم الناس؟"[3]، ولقد تضمنت الآية أسلوب الاستفهام(أرأيتم)، حيث جاء فيه حرف الاستفهام "الهمزة"، وقد أفاد الاستفهام معنى التوبيخ.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آَمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[4]

يُعد الإيمان باليوم الآخر أحد أهم أركان الإيمان، والآية تعرض أنموذجاً لمن يكذب بهذا اليوم وينكره، وينكر حقيقة البعث بعد الموت، وفوق كل هذا وذاك يعق والديه ويتأفف عند الحديث معهما

([1]) يُنظر: الكشاف ٥ / ٤٩٣، ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن١٨٢، يُنظر: اعراب القرآن الكريم وبيانه ١٩٣/٩، يُنظر: صفوة التفاسير: ١٩٣/٣.

([2]) آية ١٠ من سورة الأحقاف.

([3]) صفوة التفاسير ٣/ ١٩٤.

([4]) آية ١٧ من سورة الأحقاف.

ويسوق الحجج عند دعوتهما له، للإيمان بالبعث بأنه لم ير أحدٌ من الذين توفاهم الله قد عاد للحياة مرة أخرى، وتُشير الآية إلى دعوة والديه له بأن يهديه الله، وقولهما له بأن وعد الله نافذٌ لا محالة، فيُصر على كفره، ويصف حقيقة البعث بأنها وحيٌ من أساطير الأولين، ويقول ابن عاشور: "أنه أحال أن يخرج هو من الأرض بعد الموت، وقد مضت أمم كثيرة، وطال عليها الزمن فلم يخرج منهم أحد، وهذا من سوء فهمه في معنى البعث أو من المغالطة في الاحتجاج؛ لأن وعد البعث لم يوقت بزمن معين ولا أنه يقع في هذا العالم، والاستفهام في "أتعدانني أن أُخرج"، إنكار وتعجب، وجعلت جملة الحال وهى "وقد خلت القرون من قبلي" قيداً لمنتهى الإنكار، أي كيف يكون ذلك في حال مُضي القرون"[1]، لقد جاءت (الهمزة) حرف استفهام في كلمة (أتعدانني)، وخرج الاستفهام فيها عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر هو إنكار هذا العاق لحقيقة البعث والنشور.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[2]

يكرر الله توبيخه وتقريعه للكافرين، وهذه المرة بسبب انشغالهم في ملذات الحياة الدنيا، وما كانوا فيه من التنعم والطيبات، و يُخبرهم بأنهم يوم القيامة يذوقون العذاب جزاء إعراضهم عن الحق وكفرهم به، ويقول القرطبي:" ذكرهم يا محمد، يوم يُعرض ويكشف الغطاء، فيقربون من النار وينظرون إليها، تمتعتم بالطيبات في الدنيا، واتبعتم الشهوات واللذات يعنى المعاصي، فاليوم تجزون عذاب الخزي والفضيحة بما كنتم تستعلون على أهل الأرض بغير استحقاق في أفعالكم

([1]) تفسير التحرير والتنوير٢٦/ ٣٨-٣٩.

([2]) آية ٢٠ من سورة الأحقاف.

بغياً وظلماً، وهنا همزة أذهبتم للتوبيخ ، فالعرب توبخ بالاستفهام وبغير الاستفهام"[1]، والهمزة كما ذُكر آنفاً حرف استفهام، والغرض من الأسلوب توبيخ وتقريع الكافرين؛ لانشغالهم بملذات الحياة الدنيا، وعدم إيمانهم باليوم الآخر أو عدم الاستعداد لهذا اليوم العظيم.

قال تعالى:﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آَلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2]

يطلب الكافرون من الرسول(ﷺ) أن يأتيهم بالعذاب الذي توعدهم به إن كان صادقاً، بعدما أمرهم بترك ما يعبدون، ووجههم لعبادة الله سبحانه وتعالى، و"قال الكافرون للرسول (ﷺ) أجئتنا لتصرفنا عن عبادة ءالهتنا، فأتنا بما توعدتنا من العذاب، على الشرك إن كنت صادقاً في وعدك"[3]

وأسلوب الاستفهام في كلمة(أجئتنا)، خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار والتسفيه والتجهيل بالعذاب وبمقدرة الرسول(ﷺ) بالوفاء بالوعد.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]

ما زالت الأدلة تتوالى للمشركين لعلهم ينحازوا إلى الإيمان، وفي هذه الآية يخبرهم الله تعالى بأن الذي خلق السموات والأرض، ولم يشعر بأية مشقة في خلقهن، لقادرٌ على إحياء الموتى، وقادرُ على ما هو دون ذلك وما هو أعلى منه، وأداة أسلوب الاستفهام في الآية (الهمزة) التي تفيد

([1])الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: ١٩/٢٠٤-٢٠٥.

([2]) آية ٢٢ من سورة الأحقاف.

([3]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي: القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، حققه محمد صبحي حسن حلاق، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ٣/٢٧٩.

([4]) آية ٣٣ من سورة الأحقاف.

التصديق، تناسبت مع الفعل(يرى) الذي جاء بدلالة العلم والمعرفة بخلق السماوات والأرض، وقدرة الله على البعث والنشور، ويقول الإمام الشوكاني" الرؤية هنا هى القلبية التي بمعنى العلم، والهمزة للإنكار أي ألم يعلموا أن الذي خلق هذه الأجرام العظام من السموات والأرض ابتداء لم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه، بقادر على إحياء الموتى من جديد"[1]، وأسلوب الاستفهام في الآية (أولم) جاء فيه حرف الاستفهام الهمزة، وخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار، حيث يفيد الاستفهام بأن إنكار المشركين لحقيقة البعث والنشور ما زال قائماً، رغم التأكيدات الواردة في الآية، والمترابطة مع أسلوب الاستفهام، فمجيء(إنّ) المتكررة؛ للتأكيد على حقيقة البعث، والجزم(بلم) للنفي بمشقة وتعب المولى عز وجل بهذا الخلق، فكل هذه الحروف أكدت على قدرة الخالق على الإحياء.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[2]

إن يوم الحساب آتٍ لا محالة، يوم تجزى فيه كل نفس بما عملت، ويصدق فيه القول الحق بالعذاب، فيقول رسولنا(ﷺ) للمشركين، أليس العذاب الذي تذوقونه حقاً؟ ها هى النار تعذبون فيها جزاءً بما كنتم تكفرون، ويقول ابن عاشور" موقع هذا الكلام أن عرض المشركين على النار من آثار الجزاء الواقع بعد البعث، فما ذكر في الآية التي قبلها الاستدلال على إمكان البعث أعقب بما يحصل لهم يوم البعث جمعاً بين الاستدلال والإنذار، والاستفهام تقريري وتنديم على ما كان

([1]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٥/ ٣٥.

([2])آية ٣٤ من سورة الأحقاف.

يزعمون أن الجزاء باطل وكذب."[1]، ولقد تضمنت الآية أسلوب الاستفهام (أليس)، وفيه حرف الاستفهام (الهمزة)، وقد خرج الأسلوب إلى معنى التقرير، والاستفهام هنا منفي، والمعروف أن الاستفهام المنفي يُراد به تأكيد حقيقة ما، ويكون الإقرار بها في القول (بلى)، والحقيقة التي يُراد التأكيد عليها في الآية هى العذاب الذي أنكره المشركون في الدنيا.

قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]

يطلب الله عز وجل من رسوله الكريم ألا يستعجل العذاب والهلاك للمشركين، وأن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل؛ لأن العذاب واقعٌ لا محالة، وإنهم يوم يعذبون سيشعرون وكأن الحياة الدنيا مرت كساعةٍ سريعةٍ من نهار، ومثل هذا الهلاك لا يهلك به إلا الفاسقون وأمثالهم، ويقول الألوسي" أي إذا كانت عاقبة أمر الكفرة ما ذكر، فاصبر على ما يصيبك من جهتهم، أو إذا كان الأمر على ما تحققته من قدرته تعالى الباهرة(فاصبر) ، ولا تستعجل لكفار مكة بالعذاب، أي لا تدع بتعجيله، فإنه على شرف النزول بهم، كأنهم يوم يرون العذاب لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة يسيرة من نهار فلا يهلك إلا الخارجون عن الاتعاظ وعن الطاعة ، وفي الآية من الوعيد والنذير ما فيها."[3]، ولقد ورد في الآية(هل) وهو حرف استفهام يفيد التصديق وهو إدراك النسبة ، ولكن الاستفهام هنا جاء؛ ليفيد النفي، أي استثناء العذاب، ونفيه بأنه لم يعذب به أحد من الأمم السابقة،

([1]) تفسير التحرير والتنوير ٢٦/ ٦٥-٦٦.

([2])آية ٣٥ من سورة الأحقاف.

([3]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثان: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان،٢٦/ ٣٤-٣٥.

ولقد جاء الاستفهام في صورة أسلوب القصر المنفي للتأكيد على هلاك الفاسقين، إذ إن الأصل أن يُقال(يهلك القوم الفاسقون) فجاء في الأسلوب المذكور لزيادة التأكيد.

ثانياً: أسلوب الاستفهام في سورة محمد

تعددت أساليب الاستفهام ومعانيها في سورة محمد حيث جاءت حسب التالي:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[1]

إن الأرض فيها من الدلائل ما يؤذن بعاقبة الأمم السابقة وعذابها مثل: عاد وثمود وقوم لوط، ولكن الكافرين أشاحوا وجوههم عن هذه الدلائل، ولم يعتبروا ممن سبقهم، والآية توجه الكافرين للتأمل، والاعتبار من مشاهد العذاب الذي حل بالأمم السابقة، وشمل كل ما يختص بهم من أموال وأنفس وأهل، وطلب الاستفهام بالهمزة هنا مع الفعل(ينظروا) للرؤية العينية، التي لا مجال فيها للشك، ويجدر بهم أي الكافرين التأمل والمشاهدة العينية الواقعية، لآثار العذاب الذي حل بمن سبقهم، وهو مشابه لما سيكون لهم لاحقاً، ويقول سيد قطب" وهى لفتة عنيفة مروعة فيها ضجة وفرقعة، وفيها مشهد للذين من قبلهم يدمر عليهم كل ما حولهم، فإذا هو أنقاض متراكمة وإذا هم تحت هذه الأنقاض المتراكمة ، وذلك المشهد الذي يرسمه التعبير مقصود بصورته، وحركته هذه، والتعبير يحمل في إيقاعه وجرسه صورة هذا المشهد، وفرقعته في انقضاضه وتحطمه، وعلى مشهد التدمير والتحطيم والردم، يلوح للحاضرين من الكافرين ولكل من يتصف

([1]) آية ١٠ من سورة محمد.

بهذه الصفة بعد بأنها في انتظارهم"[1]، ولقد ورد في الآية أسلوبا استفهام (أفلم)، و(كيف)، فالهمزة في (أفلم) حرف استفهام، لم يفد التصديق ولا التصور، والأسلوب هنا أفاد التوبيخ، وجاء الاستفهام منفياً بـ(لم) ليؤكد حقيقة العاقبة التي سيشهدها الكافرون[2]، أما(كيف) فهو اسم استفهام يفيد التصور، ويُستفهم به عن تعيين الحال، والحال المقصود في الآية هو طبيعة العاقبة التي ستصيبهم، وكيف كانت للذين من قبلهم، والأسلوب هنا أفاد التوبيخ والتعجب، والتهديد للمشركين، والأسلوب الخبري في قوله" **دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** "يُعمق مدلول الاستفهام السابق.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[3]

تسوق الآية الكريمة مقارنةً بين فريقين لا يستويان البتة، إذ إن الفريق الذي يسير على منهج الله، لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال مساواته مع من كفر واتبع الشيطان، حتى وإن زُين له عمله السيء، وقال فيه أحسن الأقوال، يقول المراغي" أفمن كان على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه بما أنزله في كتابه من الهدى والعلم، وبما فطره الله عليه من الفطرة السليمة، فهو على علم بأن له رباً يجازيه على طاعته إياه بالجنة، وعلى إساءته ومعصيته إياه بالنار، كمن حسّن له الشيطان قبيح عمله، وأراه إياه جميلاً فهو على العمل به مقيم، وعلى السير على نهجه دائب، واتبع هواه وجمحت به شهواته، فطفق يغدو في المعاصي، ويخُبّ فيها، غير ملتفت إلى واعظ أو زاجر"[4]

([1]) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ، ط ١، ١٩٧٢م، ٦/ ٣٢٨٩-٣٢٩٠.

([2]) الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه ٢٦ /٢١٤.

([3]) آية ١٤ من سورة محمد.

([4]) تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبى، مصر، ط١، ١٩٤٦م، ٥٦/٢٦.

وأسلوب الاستفهام الوارد في الآية(أفمن) فيه حرف الاستفهام الهمزة، حيث أفاد الأسلوب معنى الإنكار، أي إنكار التسوية بين المتمسك بالبينة والمتبع هواه، وذلك على اعتبار جوهر الأعمال التي يقوم بها كل فريق أولاً، ثم على اعتبار الجزاء الذي سيلاقيه كلٌ منهما فيما بعد[1]

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَ هُمْ﴾[2]

تصور الآية حال المنافقين الذين يدَّعون الاستماع باهتمام، لما يقول الرسول(ﷺ) ثم يخرجون من مجلسه، ويسألون أهل العلم عما ورد في كلامه؛ إظهاراً لزيادة الاهتمام والانتباه، وواقع الأمر أنهم يريدون بذلك الاستهزاء من ذلك الكلام، وكأنهم يريدون إيصال رسالة للصحابة بأن كلام الرسول(ﷺ) ليس جديراً بالاهتمام، بدلالة أنه قد مرَّ عليهم فلم يلقوا له بالاً واهتماماً، وهم يسألون عنه الآن مرة أخرى، وذلك كله بسبب ما كان في قلوبهم من كفرٍ، ونفاقٍ، واتباع الباطل، ويقول الشيرازي: "المنافقون يحضرون ويسمعون كلام الأشرف، وعندما يخرجون يسألون علماء الصحابة، ماذا قال محمد الساعة؟ استهزاءً وإعلاماً بأنا ما كنا ملتفتين إليه مستمعين له وذلك بسبب ما ختم الله على قلوبهم فلا يدخل فيها الهدى والإيمان"[3]، وأداة الاستفهام في الآية(ماذا) غرضها البلاغي السخرية والاستهزاء، أي سخرية واستهزاء المنافقين من كلام الرسول(ﷺ).

([1]) يُنظر: الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٥/ ٥٢١.

([2]) آية ١٦ من سورة محمد.

([3]) جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن الإيجي الشيرازي الشافعي ومعه حاشية: محمد بن عبد الله الغزنوي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م، ١٤٢/٤

يقول الله تعالى:﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾[1]

تصور الآية حال الغافلين الذين لا يعملون لآخرتهم، ولا يخطر ببالهم ما سيلقونه يوم تقوم الساعة، ويجعلون متاع الدنيا وملذاتها أكبر همهم، ولكنهم عند قيام الساعة وقد بانت علاماتها، لا يستطيعون تقديم أو فعل شيء ينفعهم يوم الحساب، فالاستفهام في هذه الآية نفي عن هؤلاء الغافلين استعدادهم لهذا اليوم أو انتظارهم له، واستبعد عنهم استفادتهم بذكرى هذا اليوم، ويقول ابن جزي الكلبي "المقصود المنافقون والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة لأنها قريبة، وقد جاءت علاماتها، والذي كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد (ﷺ)؛ لأنه قال أنا من أشراط الساعة، وبعثت أنا والساعة كهاتين، فكيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة، والاستفهام المتقدم والمراد به الاستبعاد"[2]

وفي الآية أسلوبا استفهام، أولهما(فهل) الذي أفاد معنى النفي، بمعنى أن الغافلين لا ينتظرون يوم الحساب، وثانيهما(فأنى) وقد أفاد معنى الاستبعاد، أي استبعاد استفادتهم لذكرى ذلك اليوم لقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾[3]

([1]) آية ١٨ من سورة محمد.

([2])التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م،٣٤٢/٢.

([3]) آية ١٣ من سورة الدخان.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1]

توجه الآية الكريمة خطاباً قرآنياً للمنافقين، بأنهم إن تولوا أمور الناس فإنهم سيملؤون الأرض فساداً، من سفكٍ للدماء وقطعٍ للأرحام وغيرها من الأعمال التي تخالف تعاليم الإسلام، يقول المراغي: "الخطاب لهؤلاء المنافقين خطاب التوبيخ والتأنيب، أي لعلكم لما عهد فيكم من الحرص على الدنيا و زخرفها، إن أنتم توليتم أمور الناس وصرتم عليهم أمراء، أن تفسدوا في الأرض بالبغي وسفك الدماء، وتقطعوا أرحامكم فتعودوا إلى تباغض الجاهلية، من إغارة بعضكم على بعض ونهب الأموال وسفك الدماء"[2]، ويوجد في الآية حرف الاستفهام(هل)، والغرض البلاغي من الأسلوب هو التوبيخ والتقريع لهؤلاء المنافقين، حيث يوجه الله لهم تأنيباً وتوبيخاً على أعمالٍ سيفعلونها– ويعلمها بعلمه– إن هم تولوا أمر المسلمين.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتدبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[3]

إن قراءة القرآن وتدبر معانيه له أثر كبير في إزالة الهم والغم من القلب، وتجدر الإشارة أن هناك انسجاماً بين استخدام الفعل(يتدبر) واستخدام كلمة (قلوب) في الآية؛ لأن الإنسان يستشعر بقلبه الذي هو محل الأحاسيس عظمة الخالق، فيتيح له ذلك أن يتدبر معاني القرآن بالتأمل والتفكير، فإن كان قلبه مطمئناً خالياً من الريبة والشك مهد له ذلك تدبر معانيه وكان تفكيره بوجود الله والعمل بما جاء في القرآن قائماً، ويقول الشوكاني: "أفلا يتدبرون" للإنكار والمعنى أفلا يتفهمونه فيعملون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة التي

([1]) آية ٢٢ من سورة محمد.

([2]) تفسير المراغي: ٢٦/ ٦٦.

([3]) آية ٢٤ من سورة محمد.

تكفى من له فهم وعقل تزجره عن الكفر بالله وبالإشراك به والعمل بمعاصيه، أم على قلوب أقفالها "أم" هى المنقطعة أي بمعنى بل على قلوب أقفالها؟ فهم لا يفهمون، ولا يعقلون؟ انغلاق القلب عن معرفة الحق، لا يدخل في قلوبهم الإيمان ولا يخرج منها الكفر والشرك لأن الله سبحانه وتعالى قد طبع عليها"[1]، ولقد ورد في الآية أسلوب استفهام في قوله(أفلا)، أفاد الإنكار والتوبيخ للمنافقين؛ لعدم تدبرهم القرآن، وأخذهم بالمواعظ والعبر التي تبعدهم عن الكفر، وتنقلهم إلى عالم النور والإيمان، كما ورد فيها (أم) وهى المنقطعة متضمنة معنى(بل) وتفيد الإنكار.

قال تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[2]

تصور هذه الآية موقفاً غايةً في الفزع والتهديد، حيث تسلط الضوء على مشهد احتضار الكافرين، وحالهم في ذلك الموقف الذي لا يتمناه أحد من ضربٍ للوجوه والأدبار وغيره من ألوان العذاب الأخرى، ويقول القرطبي "فكيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة؟ ضاربين وجوههم وأدبارهم ومعنى الكلام التخويف والتهديد، لا يتوفى أحد على معصية إلا بضرب شديد لوجهه وقفاه"[3]

ولقد ورد في الآية أسلوب الاستفهام (كيف)، وهو اسم استفهام يفيد تعيين حال المنافقين عند قبض أرواحهم، وتهديدهم بشدة ذلك اليوم، وتخويفهم من الضرب وغيره.

([1]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٥/ ٥١.

([2]) آية ٢٧ من سورة محمد.

([3]) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ١٩/ ٢٨١.

قال تعالى:﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾[1]

إنّ كره المنافقين للمسلمين لا بُدّ وأن يتكشف مع مرور الوقت، حتى وإن حاولوا إخفاءه، فالمنافقون الذين في قلوبهم مرض، وهو ليس بالمرض الجسدي، بل مرض نفسي، إن كان القلب محله، يناصبون العداء للمسلمين ويعتقدون واهمين، بأن الله لن يُظهر ما يخفونه من أضغان وأحقاد تجاه المسلمين، يقول سيد قطب: "يتهددهم الله بكشف أمرهم لرسول الله، وللمسلمين الذين يعيشون بينهم، متخفين يتظاهرون بالإسلام وهم لهم كائدون، يهددهم بكشف حالهم وإظهار أضغانهم وأحقادهم على المسلمين"[2]

وفي الآية وردت(أم) بمعنى (بل) للإضراب الانتقالي، المتضمنة معنى الإنكار، والهمزة للاستفهام الإنكاري، أي (بل أحسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم).

ثالثاً: أسلوب الاستفهام في سورة الفتح

إن أسلوب الاستفهام في سورة الفتح قليل جداً، ومن الشواهد عليه، قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[3]

([1]) آية ٢٩ من سورة محمد.

([2]) في ظلال القرآن ٣٢٩٨/٦.

([3]) آية ١١ سورة الفتح.

توضح الآية الكريمة موقف المخلفين الذين ساقوا للرسول(ﷺ) ألواناً شتى من الأعذار التي يقولون إنها منعتهم من الخروج معه للقاء العدو، والآية تفضح نفاقهم، وأن ما قالوه بألسنتهم من مبررات لا يوافق ما في قلوبهم، ثم تصل الآية إلى حقيقة أن قضاء الله لا يُرد، فإن أراد بأحد ضراً لا يوجد على هذه الأرض قوة تستطيع رد هذا الضرر، ولو أراد الخير فلا يملك أحد منعه، والاستفهام هنا لنفي قدرة أي مخلوق على دفع الضرر، أو جلب المنفعة إلا بإرادة الله عز وجل، يقول المراغي:" أيها الرسول يقول لك الذين تخلفوا عن صحبتك والخروج معك في سفرك حين سرت إلى مكة، وعاقبتهم على التخلف شغلنا من الخروج معك، معالجة أموالنا وإصلاح معايشنا وأهلونا، إذ لم يكن لنا من يقوم بتدبير شئونهم، فاطلب لنا المغفرة من ربك، فرد الله عليهم وكذبهم إنهم لم يكونوا صادقين في اعتذارهم، بل تخلفوا اعتقاداً بأن الرسول والمؤمنين يُغلبون، ثم أمر الرسول بالرد عليهم، ويقول لهم إنكم بعملكم هذا تحترسون من الضر، وتتركون أمر الله ورسوله وتقعدون طلباً للسلامة، ولكن لو أراد الله بكم ضراً لا ينفعكم قعودكم شيئاً، أو أراد بكم نفعاً فلا راد له، إذاً مَن ذا الذي يمنع من قضائه؟"[1]، ومن الملفت للنظر ترابط أسلوب الأمر(استغفر) وتناسبه وتناغمه مع أسلوب النفي(ليس في قلوبهم)، وأسلوب الاستفهام(مَن)، والتخيير بأداته(أو) مع بعضهم البعض في آية واحدة؛ وكل ذلك تبياناً وتأكيداً على أن القدرة والمغفرة واختيار النفع والضرر للمخلفين كله بيد الله عز وجل، فلن ينفع المخلفين بعد ذلك شيءٌ، ولقد ورد في الآية اسم الاستفهام(مَن) وهو اسم استفهام للعاقل، وقد خرج الاستفهام من معناه الأصلي إلى معنى النفي.

([1]) تفسير المراغي ٢٦/ ٩٣.

رابعاً: أسلوب الاستفهام في سورة الحجرات

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1]

لقد نهى الله سبحانه وتعالى عن كثير من الصفات والسلوكيات السيئة، التي تؤدي إلى تفكك المجتمع وانهياره، ومنها سوء الظن، والتجسس، والغيبة، التي وصف الله سبحانه وتعالى فاعلها وكأنه آكلٌ للحم أخيه وهو ميت، فمَن كره أكل لحم أخيه ميتاً عليه كراهية غيبته حياً، ويقول الإمام الزمخشري: "المأمور باجتنابه هو بعض الظن، وكذلك عدم تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه، ثم يأتي أسلوب الاستفهام " أيحب أحدكم" تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه و أفحشه، والاستفهام معناه التقرير، وجعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، لم يقتصر على تمثيل الاغتياب، بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخاً، ولما قرّرهم عز وجل بأن أحداً منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك"[2]، ولقد ورد في الآية أسلوب الاستفهام في قوله (أيحب)، وهناك خلاف حول المعنى الذي خرج عنه، حيث ذُكر أن "معنى الاستفهام في هذه الآية هو الإنكار والنفي

([1]) آية ١٢ من سورة الحجرات.

([2]) ينظر: الكشاف: ٥/ ٥٨٤-٥٨٥.

وإظهار شناعة وقبح الفعل."[1]، أما الزمخشري فذكر أن معنى الاستفهام هو التقرير[2]، كما وافقه في رأيه محمود صافي وأورد بأن الاستفهام أفاد التقرير.[3]

ومن خلال النظر إلى تعريف استفهام الإنكار، واستفهام التقرير، ومعنى الآية، ترى الباحثة أن الله سبحانه وتعالى أراد حمل المخاطب على الاعتراف بعدم حبه لهذا الفعل الشنيع، وهو أكل لحم الأخ ميتاً، فالغرض في هذه الآية من الاستفهام هو التقرير وإظهار قبح الفعل، وأيضاً الغرض من الاستفهام هو الإنكار على الكافرين أفعالهم وغيبتهم، وفي هذا خروج عن تقوى الله، كما بينت الآية في الأمر" واتقوا الله".

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[4]

لقد أسلم بعض الكافرين نفاقاً، ظناً منهم أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم ما يخفون في صدورهم، فيوبخهم على جهلهم بعلمه عز وجل، وهو يعلم ما في السموات وما في الأرض، يقول الإمام البيضاوي "أتخبرون الله بدينكم بقولكم آمنا، وهو لا يخفى عليه خافية، وفيها تجهيل وتوبيخ لهم."[5]، ولقد ورد في الآية حرف الاستفهام الهمزة في قوله(أتعلمون)، والأسلوب تضمن معنى التوبيخ والتجهيل.

([1]) أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه- إعرابه: عبد الكريم يوسف، مكتبة الغزالي، دمشق،ط١ ،٢٠٠٠م، ١٤٠.

([2]) الكشاف: ٥/ ٥٨٤.

([3]) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه٢٦/ ٢٩١.

([4]) آية ١٦ من سورة الحجرات.

([5]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي: ٣/ ٣١١.

خامساً: أسلوب الاستفهام في سورة ق:

جاءت الأساليب الاستفهامية في سورة ق على النحو التالي:

يقول الله تبارك وتعالى:﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[1]

لم يتخلَ الكافرون عن اعتقادهم بإنكار حقيقة البعث والنشور، فهم يستبعدون أن يتم إحياؤهم مرةً أخرى بعد أن يموتوا، ويقول الزمخشري في كشافه" دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار، ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم، أحين نموت ونبلى نرجع ؟ ذلك مستبعد ومستنكر، ويكون من كلام الله تعالى استبعاداً لإنكارهم ما أنذروا من البعث"[2]، ولقد ورد في الآية أسلوب الاستفهام(أئذا متنا)، وأفاد الإنكار.

يقول تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[3]

إن خلق السموات من حيث بناؤها بلا أعمدة، وخلوها من العيوب والخلل، لهو دليلٌ كبيرٌ على قدرة الخالق، ومن يمكنه خلق مثل هذه السماء بهذا الإتقان اللامتناهي، يمكنه إحياء الموتى، وفي ذات السياق يقول الألوسي البغدادي: " أي أغفلوا أو عموا؟ أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم، بحيث يشاهدونها كل وقت، كيف أحكمناها ورفعناها بغير عمد، وزيناها للناظرين بالكواكب المرتبة، على إبداع من دون فتوق وشقوق، والمراد سلامتها من أي عيب وخلل "أفلم ينظروا" إنكار، وجيء بالنظر دون الرؤية استبعاداً لاستبعادهم، فالنظر كافٍ في حصول العلم

([1]) آية ٣ من سورة ق.

([2]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٥/ ٥٩٢.

([3]) آية ٦ من سورة ق.

بإمكان الرجع ولا حاجة إلى الرؤية"[1]، ولقد ورد أسلوبا استفهام في الآية، أولهما: (أفلم) وفيه حرف الاستفهام الهمزة وقد تلاها حرف النفي(لم) والاستفهام هنا غرضه الإنكار، أما ثانيهما: ففي قوله(كيف) وهو اسم استفهام لتعيين الحال، والغرض البلاغي منه الإنكار، وذلك إمعاناً في بيان ضلالهم وجهلهم.

قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2]

إن إنكار الكافرين لحقيقة البعث، ظل ملازماً لهم في كل تصريحٍ يصدر عنهم، وفي الآية السابقة يرد الله تعالى عليهم. بأنه لم يتعب في خلقه للمخلوقات جميعها في المرة الأولى، فكيف يصعب عليه أن يُعيدهم للحياة مرة أخرى، قال الزمخشري" الهمزة للإنكار، والمعنى أنا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول، حتى نعجز عن الثاني، ثم قال: هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول، واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة "بل هم في لبس" أي في خلط وشبهة وقد لبس عليهم الشيطان وحيرهم" [3] والاستفهام في الآية يتمثل في الهمزة في قوله(أفعيينا)، وأفاد معنى الإنكار، أي إنكار الكافرين لحقيقة البعث.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[4]

يخاطب الله عز وجل يوم القيامة جهنم في موقفٍ مهيب، ويسألها عن اكتفائها بأعداد الكافرين والمجرمين والعُصاة الذين أُلقوا فيها من عدمه، ويأتي الجواب من جهنم بعد الاستفهام

([1]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٦/ ١٧٥.

([2]) آية ١٥ من سورة ق.

([3]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل٥/ ٥٩٤.

([4]) آية ٣٠ من سورة ق.

مباشرةً؛ للدلالة على انتظارها بفارغ الصبر، مسألة تعذيب الكفار جزاء ما قدموا من عمل، يقول القرطبي:" الاستفهام على سبيل التصديق لخبره، والتحقيق لوعده، والتقريع لأعدائه، والتنبيه لجميع عباده، وتقول جهنم هل من مزيد؟ أي ما بقى فيّ موضع للزيادة ويحتمل أن يكون استفهاماً، بمعنى الاستزادة أي هل من مزيد فأُزاد به، وإنما صلح هذا للوجهين؛ لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد، وقيل يُنطق الله النار حتى تقول هذا؛ كما تنطق الجوارح."[1]، ولقد ورد في الآية حرف الاستفهام (هل)، وهو للاستفهام الحقيقي، فالاستفهام موجه للنار، وذلك لتهويل أمرها على سبيل التخييل والتمثيل، وفي إجابة النار استعارة مرعبة، وهي تحمل إرهاباً للكافرين.

قال تعالى:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾[2]

إن العذاب الذي حلّ بالأمم السابقة، مثل عاد وثمود ليُعطي أَجَلى الصور عن عاقبة كل من كفر بالله وعاند في كفره، ولكن المكذبين بنبوة سيدنا محمد(ﷺ)، لم يعتبروا من النهاية التي آلت إليها هذه الأقوام، فاقتفوا أثرهم من تكذيبٍ، وإنكارٍ، وكفرٍ، ومعصية، يقول الشافعي" وكثير من الأمم التي قبلك أهلكناهم، وكانوا أشد من قومك بطشاً، وأكثر منهم قوة، كعاد وثمود وتبع، فتقلبوا في البلاد، وسلكوا كل طريق ابتغاء للرزق، ولم يجدوا لهم من أمر الله مهرباً، ولا ملجأً حين حم القضاء، وهكذا حالكم، فحذار أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب العاجل في الدنيا ، والآجل

([1]) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأى الفرقان ١٩/ ٤٥١.

([2]) آية ٣٦ من سورة ق.

يوم القيامة، "هل من محيص" واردة لنفي أن يكون لهم محيص ؟يعني فإن أصر أهل مكة فليحذروا من مثل ما حل بالأمم الماضية فإن الغاية هو الهلاك، والنهاية هو العذاب"[1]

ولقد ورد في الآية حرف الاستفهام(هل)، وأفاد الأسلوب هنا معنى النفي، بمعنى أنه لن يفلت أو يفر أحد منهم من الموت أو من عذاب الله، ويُؤكد على إهلاك الكافرين.

(1) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعى، تحقيق هاشم مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان ، ط١، ٢٠٠٠م، ٤٧٥/٢٧.

جدول يوضح أساليب الاستفهام في جزء الأحقاف

الآية	رقم الآية	الشاهد
سورة الأحقاف		
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	٤	أَرَأَيْتُمْ مَاذَا، أم
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾	٥	مَنْ
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	٨	أَمْ
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	١٠	أَرَأَيْتُمْ
﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	١٧	أَتَعِدَانِنِي
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾	٢٠	أَذْهَبْتُمْ

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	٢٢	أَجِئْتَنَا
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٣٣	أَوَلَمْ
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	٣٤	أَلَيْسَ
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾	٣٥	فَهَلْ
سورة محمد		
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾	١٠	أَفَلَمْ، كَيْفَ
﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾	١٤	أَفَمَنْ
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾	١٦	مَاذَا
﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾	١٨	فَهَلْ، فَأَنَّى
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾	٢٢	فَهَلْ
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٢٤	أَفَلَا، أَمْ
﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾	٢٧	فَكَيْفَ
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾	٢٩	أَمْ

سورة الفتح		
﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	١١	فَمَنْ
سورة الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾	١٢	أَيُحِبُّ
﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	١٦	أَتُعَلِّمُونَ
سورة ق		
﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾	٣	أَئِذَا مِتْنَا
﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾	٦	أَفَلَمْ، كَيْفَ
﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٥	أَفَعَيِينَا
﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾	٣٠	هَلْ
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾	٣٦	هَلْ

جدول يوضح عدد أساليب الاستفهام في كل سورة

م	اسم السورة	عدد أساليب الاستفهام في السورة
١	الأحقاف	١٢
٢	محمد	١١
٣	الفتح	١
٤	الحجرات	٢
٥	ق	٦

بالنظر إلى الجدول أعلاه وما سبقه من جداول، يُلاحظ أن أكثر السور اشتمالاً على أسلوب الاستفهام هي سورة الأحقاف وذلك لأن موضوع السورة يُناقش حقيقة البعث والجزاء، وإنكار الكافرين لهذه الحقيقة، حيث اشتملت آيات السورة على أساليب استفهام متكررة خرجت من معناها إلى معنى الإنكار والتوبيخ والتقريع لهؤلاء الكافرين بسبب موقفهم من هذه الحقيقة.

وأقل السور اشتمالاً على أسلوب الاستفهام هي سورة الفتح، وموضوعها يتمحور حول الحقائق، والمعجزات، والنصر، والهداية، وطبيعة الموضوع هنا لا تثير تساؤلات كثيرة، فقل استخدام أسلوب الاستفهام هنا لهذا السبب.

الفصل الثاني

أسلوب النهي وأغراضه البلاغية

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول:

- تعريف النهي، دلالاته.
- علاقة أسلوب النهي بأساليب البلاغة الأخرى.
- علاقة أسلوب النهي بموضوعات البلاغة.

المبحث الثاني:

- المعاني البلاغية لأسلوب النهي.
- أسلوب النهي في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية.

المبحث الأول:

- تعريف النهي، دلالاته.
- علاقة أسلوب النهي بأساليب البلاغة الأخرى.
- علاقة أسلوب النهي بموضوعات البلاغة.

يُعد النهي في الأصل هو أحد موضوعات النحو العربي، ولكن خروجه عن معناه الحقيقي من طلب الكف عن الفعل إلى معانٍ بلاغيةٍ أخرى، جعله يندرج تحت قائمة الأساليب الإنشائية الطلبية، فهو بذلك يُعد من الأساليب الإنشائية الطلبية، ولقد ورد ذكره في جزء الأحقاف في ثلاثة عشر موضعاً، حيث جاء في القرآن الكريم زجراً عن الشر وتنفيراً منه.

"وأسلوب النهي لا يتصل بالبلاغة وحدها، وإنما بالقرآن وعلومه. والقرآن الكريم يزدان بأساليب النهي، فما من سورة تقع بين دفتي القرآن إلا وتحمل بين صفحاتها عشرات الأساليب"[1]

والنهي كغيره من الأساليب يخرج عن معناه الحقيقي؛ للدلالة على معاني أخرى كالدعاء، والنصح، والإرشاد، والتحقير، والتهديد وغيرها من المعاني البلاغية، فكلها يُستدل عليها من السياق وقرائن الأحوال.

[1] النظم القرآني في سورة هود: مجدي عايش أبو لحية، رسالة ماجستير، ٢٠٠٠م، ١٠١.

تعريف النهي:

النهي لغةً "خلاف الأمر، (نهاه- ينهاه- نهياً)، فقد انتهى وتناهى "كف"[1]، وهو أيضاً "طلب الامتناع عن الشيء، وطلب ترك الفعل باستعمال لا الناهية، والمضارع المجزوم"[2]

وأما اصطلاحاً فهو" طلب الكف عن شيء، وأداته واحدة هى "لا الطلبية"، وتسمى لا الناهية إن كان النهى صادراً من أعلى لأدنى، فإن كان من أدنى لأعلى، سميت لا الدعائية، وإن كان مساوٍ إلى نظيره، سميت لا التي للالتماس، فتسميتها لا الطلبية أولى؛ لأن طلب الكف بها يشمل حالاتها الثلاث"[3]

وعليه فإن النهي هو الابتعاد عن فعل الشيء، بشرط أن يكون صادراً من الأعلى للأدنى، وقد عرفه بسيوني فيود "هو كل أسلوب يطلب به الكف عن الفعل، على وجه الاستعلاء والإلزام،

([1]) لسان العرب ١٥/ ٣٤٣.

([2]) المعجم النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة: عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٣، ٤/ ٣٦٧.

([2]) علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني ٣٧٢.

([2]) بغية المفتاح لتلخيص المفتاح:٥٦/٢، ويُنظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصيرية ، صيدا، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ١/ ٤٦٩.

([2]) الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م،٩٦٠.

([3]) النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة: عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٣، ٤/ ٣٦٧.

فيكون من جهة عليا ناهية، إلى جهة دنيا منهية"[1]، وصيغة النهي واحدة، هى لا الناهية مع الفعل المضارع المقترن بها، "للنهي صيغة واحدة، وهى المضارع المقترن بلا الجازمة الناهية "[2]

دلالة أسلوب النهي:

- **دلالته على الاستعلاء:**

الاستعلاء هو شرط من شروط أسلوب النهي، وغالباً يكون النهي من الأعلى للأدنى، أما إن كان غير ذلك سمي دعاءً، أو التماساً فقد "اشترط البلاغيون الاستعلاء في صيغة "لا تفعل"، لأجل تسميتها (نهياً)، وإن لم تستعمل على سبيل الاستعلاء، سموها(دعاءً) أو(التماساً)، ويقول السكاكي "والنهي محذو به حذو(الأمر)، في أن أصل استعمال(لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، ثم إن استعمل على سبيل(التضرع)، كقول المبتهل إلى الله: (لا تكلني إلى نفسي) تسمى (دعاءً)، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة، لا على سبيل الاستعلاء سُمى(التماساً)."[3]

- **دلالته على الوجوب:**

إن الاختلاف في طلب ترك الفعل الجازم، أهو تحريم أم كراهية للفعل، أم طلب الترك استعلاءً، وهو ما يكون وسطاً ما بين التحريم والكراهة، فقد "اختلف البلاغيون في صيغة النهي،

([1]) علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني: بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٤، ٣٧٢.

([2]) بغية المفتاح لتلخيص المفتاح:٥٦/٢، ويُنظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصيرية، صيدا، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ٤٦٩/١.

([3]) مفتاح العلوم٣٢٠، ويُنظر النحو الوافي: ٣٦٧/٤.

هل هى موضوعة لطلب الترك الجازم(وهو: التحريم)، أو لطلب الترك غير الجازم(وهو: الكراهة) أو القدر المشترك بينهما(وهو طلب الترك استعلاءً)، فيشمل (التحريم) و(الكراهة)"[1]

ومن هؤلاء البلاغيين الذين اختلفوا في صيغة النهي، أهي لطلب الترك الجازم وهو(التحريم) أم لطلب الترك غير الجازم وهو(الكراهة)، أم القدر المشترك بينهما وهو طلب الترك (استعلاءً)، السكاكي وهو يرى أن النهي إن استعمل على سبيل الاستعلاء، فإنه يفيد وجوب الترك أو التحريم[2]، أما السيوطي فإنه جزم بأن صيغة النهي موضوعة أصلاً للتحريم[3] ، أما المغربي فإنه خالفهما وقال إن صيغة النهي موضوعة لطلب الترك فحسب[4].

ومن خلال الآراء السابقة، التي اختلف فيها في صيغ النهي، ترى الباحثة أن صيغة النهي موضوعة لطلب الكف عن القيام بالفعل، أي لا يشترط فيها التحريم أو الكراهة، إلا بوجود دليل أو قرينة تدل على ذلك.

- **دلالته على الزمن:**

الزمن في صيغة النهي تعنى طلب الكف عن الفعل المنهي عنه، أيكون في الحال وفوراً، أم أنه لا يشترط الكف عن الفعل فوراً؟ و كما ذكر السكاكي" الأمر والنهي حقهما الفور والتراخي، يوقف على قرائن الأحوال لكونها للطلب"[5] ، وذكر المغربي أن النهي للفور حيث قال: "إن النهي

([1]) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٣٠٨.
([2]) ينظر: مفتاح العلوم٣٢٠.
([3]) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن١/ ٤٤٣.
([4]) ينظر: مواهب الفتاح –شروح التلخيص٢/ ٣٢٥.
([5]) مفتاح العلوم ٥٤٦.

للفور والتكرار جزماً؛ لأنه لدفع المفسدة، فلشدة حالها لا بد فيها من الفور، وتكرار الكف ليتحقق نفي المفسدة"[1].

- **دلالته على المقدار:**

اختلف البلاغيون في مقدار ما تدل عليه صيغة النهي، هل هى للكف عن الفعل للمرة الواحدة، أم على تكرار الكف أي الاستمرار، وقد ألمح الزمخشري إلى أن" صيغة النهي قد تفيد معنى الاستمرار، والثبات إذا طُلب بها من المخاطب أن يثبت على الحالة التي هو عليها"[2] ورأي السكاكي في هذه الدلالة، أن النهي لا علاقة له بالمرة أم الاستمرار، ولكنه يرجع إلى القرينة التي يدل عليها أسلوب النهى[3]، أما المغربي فقد جزم أن النهي للتكرار، كما ذُكر سابقاً.

ومن خلال اطلاع الباحثة على الآراء السابقة، ترى الباحثة أن صيغة النهي سواء أكان مقدار ترك الفعل للمرة الواحدة أم الاستمرار، هى صيغة واحدة فالصيغة لا تتعرض لمقدار، ولمعرفة ما إذا كانت للمرة الواحدة أم الاستمرار فذلك يرجع إلى طبيعة الشيء المنهي عنه.

([1]) مواهب الفتاح في تلخيص المفتاح ٢/ ٣٢٥.

([2])أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٤٧٠.

([3]) ينظر: مفتاح العلوم ٥٤٥-٥٤٦.

علاقة أسلوب النهي بأساليب البلاغة الأخرى

أولاً: علاقة أسلوب النهي بأسلوب الأمر

من الملاحظ في القرآن الكريم أن أساليب الأمر والنهي تجتمع وتتوالى، فتأتي في ترتيب عجيب، ونسق محكم دقيق لا تبديل لكلماته، فأحياناً يتقدم الأمر ويتلوه نهي ليؤكده، وتارة يتقدم النهي ويتلوه أمر، وذلك لزيادة تأكيد أغراض وموضوعات السور في القرآن الكريم، ومثال ذلك في جزء الأحقاف:

أولاً: سورة الأحقاف

يقول الله تعالى:﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]

إن هذه الآية بَدأت بأسلوب أمر "اصبر"، ثم تلاه أسلوب النهي" لا تستعجل"، وهنا جاء أسلوب النهي تأكيداً لأسلوب الأمر، حيث طلب الله(سبحانه وتعالى) من نبيه الصبر، كصبر أولي العزم من الرسل، وأمره بألا يستعجل العذاب لكفار قريش، فإنه نازلٌ بهم في وقته لا محالة، وعدم الاستعجال يكون من خلال الصبر، والاستعجال ينافي العزم، وفي ذلك مواساة للرسول.

([1]) آية ٣٥ من سورة الأحقاف.

ثانياً: سورة محمد

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[1]

إن أسلوب الأمر في هذه الآية جاء خطاباً للمؤمنين لطاعة الله وطاعة رسوله(ﷺ)، ولقد تلا أسلوب النهي أسلوب الأمر؛ للتأكيد على هذه الطاعة من خلال النهي عن مبطلات الأعمال، التي تؤدي إلى معصية الله ورسوله(ﷺ)، كالكفر، والنفاق، والرياء، والمن، والأذى، وقد ذكر البيضاوي "ما أبطل به هؤلاء كالكفر، والنفاق، والعجب، والرياء، والمن، والأذى ونحوها"[2]، والله يحب للمؤمن أن تتكامل أعماله.

ثالثاً: سورة الحجرات

قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]

في هذه الآية جاء أسلوب الأمر طلباً من الرسول(ﷺ)؛ للرد على ما قاله الكافرون بأنهم يمنون على الله؛ بسبب إسلامهم واتباعهم ونصرتهم للرسول(ﷺ)، فالله سبحانه وتعالى يرد عليهم بقوله "قل لا تمنوا علي إسلامكم"، فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، ولله المنة عليكم فيه، والنهي في هذه الآية نهيٌ عما سبق أسلوب الأمر، من المنة على الله سبحانه وتعالى، ولقد جاء ذلك كله متناغماً مع الترتيب المتناسب في الآية، حيث بُدئ بالمنة ثم الأمر، ثم النهي عن هذه المنة.

([1]) آية ٣٣ من سورة محمد.

([2]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي ٣/ ٢٩٢.

([3]) آية ١٧ من سورة الحجرات.

ثانياً: علاقة أسلوب النهي بأسلوب النداء

تبين سابقاً علاقة أسلوب النهى بأسلوب الأمر، وسوف يتضح علاقة أسلوب النهي بأسلوب النداء في جزء الأحقاف.

سورة الحجرات

يقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]

النداء في هذه الآية للمؤمنين، ولقد سبق أسلوبَ النهى أسلوبُ النداء؛ تنبيهاً للمنادى، حيث أن الله (سبحانه وتعالى) يوجه نداءه للمؤمنين، ثم ينهاهم ألا يقطعوا أمراً قبل أن يحكم به الله والرسول، والجدير بالذكر أن كلا الأسلوبين يؤكد أحدهما الآخر، فمَن اتقى الله وعمل بأوامره، وابتعد عن نواهيه، كان من المؤمنين الذين وجه لهم هذا الخطاب القرآني.

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2]

ورد في هذه الآية أيضاً أسلوب نداء متبوعٌ بأسلوب نهي، ويقول القاضي البيضاوي" أي إذا كلمتموه فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته، ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، بل اجعلوا أصواتكم

([1]) آية ١ من سورة الحجرات.

([2]) آية ٢ من سورة الحجرات.

أخفض من صوته؛ محاماة على الترحيب؛ ومراعاة للأدب؛ وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه، وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضاً، وخاطبوه بالنبي والرسول"[1]

وأسلوب النداء هنا موجه أيضاً للمؤمنين، حيث ينهاهم الله سبحانه وتعالى، عن رفع أصواتهم فوق صوت النبي(ﷺ)، ووجوب مخاطبته بالنبي والرسول؛ احتراماً وتكريماً له، حيث إن صفات المؤمنين وآدابهم تدعوهم للقيام بتلك الأوامر، والابتعاد عن كل شائبة تلحق بهم.

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]

ورد في هذه الآية أسلوب نداء واحد للمؤمنين، وتعددت أساليب النهي، فكل الصفات المنهى عنها، تأتي تأكيداً على أن تاركها مؤمن، وهي عدم السخرية، عدم التنابز، عدم اللمز، والطعن باللسان، وهذه الصفات هى صفات الفاسقين الظالمين، فارتباط أسلوب النهي بأسلوب النداء هنا؛ للتأكيد على صفات المؤمنين وبيان هذه الصفات، وهي درس كبير في حياة المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[3]

لقد اجتمعت في هذه الآية ثلاثة أساليب، أسلوب النداء ثم الأمر ثم النهي، حيث بُدئ بأسلوب النداء الموجه للمؤمنين، ثم الأمر للتأكيد على صفة المؤمنين، بالابتعاد عن الظن السوء،

([1]) من أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي٣/ ٣٠٤.

([2]) آية ١١ من سورة الحجرات.

([3]) آية ١٢ من سورة الحجرات.

ثم يأتي أسلوب النهي بعد أسلوب الأمر؛ تكملةً وتأكيداً لصفة عدم الظن، من حيث النهي عن التجسس، واتباع عورات المسلمين، والتنابز وذكر الآخرين بالسوء، فالترتيب هنا متناسب حيث إن التجسس من آثار الظن؛ لأن الظن يبعث عليه حين تدعو الظان نفسه إلى التحقيق من ظنه سراً، فيسلك طريق التجسس، وكلُّ الأساليب السابقة هى متتالية، ومجتمعة مع بعضها، ومرتبة في ترتيب محكم دقيق، حسب خطورة الأفعال وأهميتها، وتكرير النداء في الآيات السابقة جاء بهدف استدعاء مزيداً من الاستبصار، والمبالغة في الاتعاظ، والدلالة على استقلال المنادى له، وزيادة الاهتمام به[1].

علاقة أسلوب النهي بموضوعات البلاغة الأخرى

أولاً: سورة الأحقاف

قال تعالى:﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

نها الله سبحانه وتعالى الرسول(ﷺ) عن الاستعجال في طلب العذاب للكافرين، حيث أخبره أن عذابهم واقعٌ لا محالة، وحثه على الصبر، وقد توافق أسلوب النهي في الآية مع التشبيه "كأنهم يوم يرون ما يوعدون، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، وهذا تعليل للنهي عن الاستعجال لهم، بأن العذاب واقع لهم، فلا يُؤثر في وقوعه تطويل أجله ولا تعجيله"[3].

---

(1) يُنظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ٢٧٦/١٣.

(2) آية ٣٥ من سورة الأحقاف.

(3) التحرير والتنوير ٢٦/ ٦٧.

ثانياً: سورة الحجرات

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

إن الناظر لهذه الآية ليجدُ فيها من البلاغة وجهاً بلاغياً، وهو الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: "لا تقدموا بين يدي الله ورسوله"، حيث شبه حالهم في إبداء الرأي وقطع الأمر في حضرة الرسول(ﷺ) بحال ملكٍ عظيم تقدم للسير أمامه بعض الناس وكان الأدب يقضي أن يسيروا خلفه لا أمامه"[2] ، وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص، إذ إن الأمر فيه لله وللرسول من بعده، وتناسب أسلوب النهي مع ما يحمل بين طياته من الاختصاص مع أسلوب النداء الذي يختص بالمؤمنين وحدهم، ومع أسلوب الأمر الذي اختص بتقوى الله من قبل هؤلاء المؤمنين، ختاماً بتأكيد ذلك كله، فالله سبحانه وتعالى عليم سميع بما يخفي في صدور عباده المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[3]

لقد نهى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن جهر المؤمنين للرسول(ﷺ) بالصوت المرتفع، كجهرهم لبعضهم البعض، جاء أسلوب النهي متناسباً ومترابطاً، مع التشبيه المرسل المذكور في هذه الآية، فالنهي أمر من الله عز وجل، بالابتعاد عما عرضه الله للمؤمنين، بالصورة الجلية من خلال التشبيه المرسل المجمل لهم؛ تأكيداً لهم على عاقبة ذلك الأمر، فالتشبيه في قوله تعالى" ولا

([1]) آية ١ من سورة الحجرات.

([2]) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم: محمد حسن سلامة ٣١٦.

([3]) آية ٢ من سورة الحجرات.

تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض"، تشبيه مرسل مجمل، فأركان التشبيه مذكورة، حيث الأداة (الكاف)، والمشبه هو (جهر المؤمنين للرسول)، والمشبه به هو (جهر المؤمنين بعضهم البعض).[1]، وعلاقة أسلوب النهي بأسلوب النداء، هو التأكيد على المؤمنين بالابتعاد عما حمله أسلوب النهي من محاذير وجب الابتعاد عنها، فهم المختصون بهذا النداء والنهي.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]

من اللافت للانتباه في هذه الآية، مجيء كلمتي" قوم، نساء" بصيغة الجمع، وليس المفرد فقال تعالى: "لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء"، حيث لم يقل: رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة، على التوحيد، وذلك "إعلاماً بإقدام غير واحد من رجالهم، وغير واحدة من نسائهم، على السخرية، واستفظاعاً للشأن الذي كانوا عليه، لأن المشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى، ويستضحك على قوله، ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار، فيكون شريك الساخر تلوه في تحمل الوزر، وكذلك كل من يطرق سمعه، فيستطيبه ويضحك به، فيؤدي ذلك – وإن أوجده واحد – إلى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعةً وقوماً."[3] وقد جاءت كلمة قوم ونساء نكرة لا معرفة، من باب الشمول لا التخصيص؛" لأن كل جماعة منهية، على التفصيل في الجماعات والتعرض بالنهي لكل جماعة على الخصوص، ومع التعريف تحصيل النهي، لكن لا

([1]) المرجع السابق ٣١٦.

([2]) آية ١١ من سورة الحجرات.

([3]) الكشاف٥/٥٧٥.

على التفصيل بل على الشمول والنهي على التفصيل أبلغ وأوقع"[1]، وذلك لأن السخرية إذا تفشت لا تقف عند فرد دون آخر.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[2]

إن النهي عن الظن في هذه الآية لا يُراد به كل الظن، ولكن المراد منه بعض الظن، الذي يؤدي بصاحبه إلى الإثم، فالتنكير في قوله تعالي "كثيراً"، يفيد "معنى البعضية، وإن في الظنون ما يجب أن يجتنب من تبيين لذلك ولا تعيين، لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل، وتمييز بين حقه وباطله، بأمارة بينة، مع استشعار للتقوى والحذر، ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظن منوطاً بما يكثر منه دون ما يقل، ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنباً، وما اتصف منه بالقلة مرخصاً في تظننه"[3]، ولقد جيء بحرف التوكيد (إنّ)؛ لِلتأكيد على ما سبقه من أمر، وجملة "إنّ بعض الظن إثم" ليس فيها بيان وتفصيل لهذا الظن، ولكن بيان للآثار الناجمة عن هذا الظن، فهي "جملة استئنافية بيانية تقتصر على التخويف للوقوع في هذا الإثم، وكناية عن وجوب التأمل في آثار الظنون"[4]، وأسلوب النهي(لا يغتب) يُوضحه أسلوب الاستفهام التالي له، فكيفية الغيبة يوضحه أسلوب الاستفهام من خلال بيان أن الغيبة هي كأكل لحم الأخ ميتاً، وهذه كلها أفعال منافية لصفات المؤمنين الموجه لهم الخطاب.

([1]) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ١٣/ ٢٨٨.

([2]) آية ١٢ من سورة الحجرات.

([3]) المرجع السابق١٣/ ٢٩٠ ، و ينظر: التحرير والتنوير٢٦/ ٢٥٠.

([4]) التحرير والتنوير ٢٥١/٢٦.

المبحث الثاني

- المعاني البلاغية لأسلوب النهي .
- أسلوب النهي في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية .

المعاني البلاغية لأسلوب النهي

إنّ الأصل في أسلوب النهي، هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وقد يخرج عن هذا الأصل، فيفيد معاني كثيرة، يرشد إليها السياق وقرائن الأحوال، "أي أن هذه المعاني لا تنبثق عن صيغة النهي في ذاتها، بل تنبثق عنها واقعة في نظم خاص، ومقترنة بسياق خاص"[١].

ومن تلك المعاني التي يخرج اليها أسلوب النهي:

الدعاء: وذلك حين يتجه أسلوب النهي من الأدنى إلى الأعلى ، كما في قوله عز وجل على لسان المؤمنين:﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾[٢] ، فالنهي في هذه الآيات ليس على سبيل الاستعلاء والإلزام، بل خرج إلى معنى الدعاء، والتضرع، والتذلل، والاسترحام.

النصح والإرشاد: "ويكون ذلك عندما يحمل النهي بين أجزائه، معنى من معاني النصح والإرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[٣] [٤]

الالتماس: ويكون صادراً من أخ لأخيه، أو صديق إلى صديقه، وهذا ما عبر عنه السكاكي بقوله "إن استعمل النهي في حق المساوي للرتبة، لا على سبيل الاستعلاء، سمى التماساً"، وكقوله

([١]) علم المعاني في الموروث البلاغي٧١.

([٢]) آية ٢٨٦ من سورة البقرة .

([٣]) آية ٨٧ من سورة يوسف.

([٤]) سورة يوسف دراسة بلاغية: حابس شحادة القعايدة، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥م، ٩٨.

تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[1][2]

وعليه فإن أسلوب النهي يخرج عن معناه الحقيقي، إلى معانٍ أخرى كما رأينا، مثل التحقير، الدعاء، التهديد، وذلك حسب السياق والقرائن التي يرد فيها، ومن خلال قراءة الأساليب ومعرفة معناها البلاغي، يتم تحديد المعنى البلاغي الذي خرج عنه الأسلوب، والجدير بالذكر أن هناك الكثير من المعاني البلاغية التي يخرج عنها أسلوب النهي[3].

(1) آية ٩٤ من سورة طه.

(2) من بلاغة القرآن الكريم المعاني –البيان – البديع: محمد علوان، ط٥، ٢٠١١م، ٤٠.

(3) ينظر: الاتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٤٤.

أسلوب النهي في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية

يُعتبر أسلوب النهي من الأساليب الإنشائية الأقل وروداً في جزء الأحقاف، حيث بلغت الآيات التي ذُكر فيها هذا الأسلوب، تسع آيات فقط، وورد فيها أسلوب النهي في ثلاثة عشر موضعاً، وهى على النحو التالي:

أولاً: سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]

لقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم، بضرورة الصبر على أذى الكافرين، ونهاه عن استعجال العذاب لهم، وفي ذات السياق يقول الإمام ابن عاشور:" أمر الله سبحانه وتعالى الرسول(ﷺ)، بالصبر على ما لقيه من المشركين من أذى، وضرب له المثل بالرسل أولى العزم، وأعقب أمره بالصبر بنهيه عن الاستعجال للمشركين، أي الاستعجال لهم بالعذاب، أي لا تطلب منا تعجيله لهم، وذلك لأن الاستعجال ينافي العزم؛ ولأن في تأخير العذاب تطويلاً لمدة صبر الرسول (ﷺ) يكسب عزمه قوة"[2]، والآية الكريمة تضمنت أسلوب النهي "لا تستعجل"، الذي خرج عن معناه الأصلي إلى معنى النصح والإرشاد للرسول(ﷺ)، بالصبر وعدم الاستعجال في عذاب الكافرين.

([1]) آية ٣٥ من سورة الأحقاف.

([2]) التحرير والتنوير ٢٦/ ٦٦-٦٧.

ثانياً: سورة محمد

يقول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[1]

لقد تضمنت الآية السابقة توجيهاً قرآنياً للمؤمنين، بضرورة الامتثال لأوامر الله، ولزوم طاعته وطاعة رسوله؛ تجنباً لأن تحبط أعمالهم إن لم يلتزموا بذلك، وذكر محمد الصابوني" امتثلوا لأوامر الله وأوامر الرسول، ولا تُبطلوا أعمالكم بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر، والنفاق والعجب، والرياء"[2].

ولقد ورد في الآية أسلوب النهي(لا تبطلوا)، وأداته "لا"، حيث أفاد التحذير مما بيّن الدين أنه مبطل للعمل كلاً أو بعضاً، مثل الردة، والرياء في العمل الصالح، فإنه يُبطل ثوابه، فجاء الإرشاد والنصح بعد النداء بأحب الصفات.

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[3]

ينهى الله رسوله الكريم عن الضعف أمام الكفار، ويخبره بأن العزة والعلو والغلبة للمؤمنين، وبأن الله معهم بالعون والنصر، ولن ينقصهم شيئاً من ثواب أعمالهم، وذكر الصابوني "لا تضعفوا وتدعوا إلى المهادنة والصلح مع الكفار، إذا لقيتموهم وأنتم الأعزة الغالبون؛ لأنكم مؤمنون والله معكم بالعون والنصر، لن ينقصكم شيئاً عن ثواب أعمالكم، قال ابن كثير: وفى قوله "والله معكم" بشارة عظيمة بالنصر، والظفر على الأعداء"[4]، ولقد ورد في الآية أسلوب النهي "لا تهنوا"، وأفاد

([1]) آية ٣٣ من سورة محمد.

([2]) صفوة التفاسير٣/ ٢١٣ .

([3]) آية ٣٥ من سورة محمد.

([4]) صفوة التفاسير ٣/ ٢٣٥.

التحذير من المهادنة والصلح مع الكفار، والنهي عن إسلام النفس لخواطر الضعف، أي الدفع عن النفس خواطر الوهن واجتناب مظاهره.

ثالثاً: سورة الحجرات

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

نهى الله المؤمنين في الآية السابقة، عن إبرام أي أمر من دون إذنٍ من الرسول(ﷺ)، وربط تحقق هذا النهي بالتقوى، ويقول الإمام ابن عاشور:" المقصود من الآية النهي عن إبرام شيء، من دون إذن من رسول الله (ﷺ)، فذكر قبله اسم الله؛ للتنبيه على أن مُراد الله إنما يُعرف من قِبل الرسول(ﷺ)"[2]

ولقد خرج أسلوب النهي(لا تقدموا) في الآية عن معناه الأصلي، إلى معنى التحذير للمؤمنين من قطع أي أمر قبل أن يحكم الله ورسوله به.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[3]

في الآية السابقة توجيه قرآني من الله للمؤمنين، يتضمن نهياً لهم برفع أصواتهم في مجلسٍ يحضره النبي، أو برفعه عند التحدث معه(ﷺ)، فإن لم يكفوا عن هذا الجهر حبطت أعمالهم، ويقول ابن عاشور: "يا أيها المؤمنون لا ترفعوا أصواتكم في مجلس وبحضره الرسول(ﷺ) إذا كلم

([1]) آية ١ من سورة الحجرات.

([2]) التحرير والتنوير ٢١٦/٢٦.

([3]) آية ٢ من سورة الحجرات.

بعضكم بعضاً، ونها عن جهر آخر، هو الجهر بالصوت عند خطابهم للرسول(ﷺ)"[1]، والمتأمل للآية يجد أسلوبا نهي "لا ترفعوا"،و "لا تجهروا"، وكلا الأسلوبين أفادا معنى التحذير للمؤمنين، من رفع صوتهم والجهر به في حضرة النبي.

يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[2]

يُريد الله سبحانه وتعالى أن تشيع المودة والألفة بين المؤمنين، فينهاهم عن السخرية من بعضهم البعض، وعن الإعابة ومناداة الآخرين بألقابهم، ولقد جاء التوجيه القرآني مستخدماً كلمة (أنفسكم)؛ لأن المؤمنين كأنهم نفس واحدة، وفي ذلك يقول الإمام محمد الصابوني:" أي يا معشر المؤمنين يا مَن اتصفتم بالإيمان، وصدقتم بكتاب الله ورسوله، لا يهزأ جماعة بجماعة، ولا يسخر أحد من أحد، فقد يكون المسخور منه خيراً عند الله من الساخر، ولا نساء من نساء فعسى أن تكون المحتقر منها خيراً عند الله وأفضل من الساخرة، ولا يعب بعضكم بعضاً، ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء، وقال أنفسكم لأن المسلمين كأنهم نفس واحدة فبئس أن يسمى الإنسان فاسقاً بعد أن صار مؤمناً، ومن لم يتب عن اللمز والتنابز فأولئك هم الظالمون بتعريض أنفسهم للعذاب"[3]، وبالرجوع إلى الآية الكريمة نجد أن أساليب النهي المستخدمة "لا يسخر"، "لا تلمزوا"، "لا تنابزوا" أفادت معنى النصح والإرشاد للمؤمنين؛ للابتعاد عن هذه الصفات السيئة.

([1]) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٢٠.

([2]) آية ١١ من سورة الحجرات.

([3]) صفوة التفاسير٣/ ٢٣٥.

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1]

تتضمن الآية السابقة توجيهاً قرآنياً للمؤمنين، ينهاهم عن الظن والتجسس والغيبة، وشبه ذلك بأكل لحم أحدهم للآخر وهو ميت، ودعاهم لتقوى الله لما لذلك من أثر في الصلاح والرشاد، وذكر الإمام البيضاوي "كونوا من هذا الظن على جانب، وإبهام الكثير؛ ليحتاط في كل ظن ويتأمل، حتى يعلم أنه من أي القبيل، فإن من الظن ما يجب اتباعه، كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات، وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وظن السوء بالمؤمنين، ولا تبحثوا عن عورات المسلمين، ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته"[2]، والآية فيها أسلوبا نهي "لا تجسسوا"، و"لا يغتب"، وأفادا النصح والإرشاد للمؤمنين؛ للابتعاد عن الصفات السيئة التي ذكرتها الآية الكريمة.

قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]

يأمر الله في الآية رسوله بأن يرد على الذين يمنون عليه بإسلامهم، بأن الله هو الذي يمن عليهم أن هداهم للإسلام والإيمان؛ توبيخاً لهم وتبكيتاً، ويقول الصابوني" أي يعدون إسلامهم عليك يا محمد منة، يستوجبون عليها الحمد والثناء، قل لهم لا تمنوا على بإسلامكم، فإن نفع ذلك عائد عليكم، بل لله المنة العظمى عليكم بالهداية للإيمان، والتثبت عليه إن كنتم صادقين في دعوى

([1]) آية ١٢ من سورة الحجرات.

([2]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل٣/ ٣٠٩.

([3]) آية ١٧ من سورة الحجرات.

الإيمان"[1]، وخرج الأسلوب هنا عن معناه الحقيقي، إلى معنى الإرشاد المشوب بالتأنيب، والتوبيخ، والتبكيت، للأعراب الذين منّوا على الرسول(ﷺ) بإسلامهم.

رابعاً: سورة ق

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾[2]

ينهى الله في الآية السابقة الكافرين، وقرناءهم من الشياطين، عن الاختصام يوم القيامة، وإلقاء اللوم على بعضهم البعض، ويُخبرهم بأنه قد سبق وأن أنذرهم وحذرهم من شديد عقابه على ألسنة رسله، ويقول الصابوني:" يقول الله عز وجل للكافرين وقرنائهم من الشياطين، لا تتخاصموا هنا فما ينفع الخصام ولا الجدال، وقد سبق أن أنذرتكم على ألسنة الرسل، بعذابي وحذرتكم شديد عقابي، فلم تنفعكم الآيات والنذر"[3]، وأسلوب النهي في الآية "لا تختصموا" يفيد الإهانة، والتبكيت للضالين وقرنائهم، أما قوله "قدمت إليكم بالوعيد"، ففيه تيئيس لهم من النجاة من هذا العذاب، وقد قُرن أسلوب النهي بأسلوب خبري يقضي في حالهم.

([1]) صفوة التفاسير ٣/ ٢٣٨.

([2]) آية ٢٨ من سورة ق.

([3]) صفوة التفاسير ٣/ ٢٤٦.

جدول يوضح أساليب النهي في جزء الأحقاف

الآية	رقم الآية	الشاهد
سورة الأحقاف		
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	٣٥	لَا تَسْتَعْجِلْ
سورة محمد		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾	٣٣	لَا تُبْطِلُوا
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾	٣٥	فَلَا تَهِنُوا
سورة الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	١	لَا تُقَدِّمُوا
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾	٢	لَا تَرْفَعُوا ،لَا تَجْهَرُوا

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	١١	لَا يَسْخَرْ، لَا تَلْمِزُوا لا تَنَابَزُوا
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾	١٢	وَلَا تَجَسَّسُوا ، لَا يَغْتَبْ
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِقِينَ﴾	١٧	لَا تَمُنُّوا
سورة ق		
﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾	٢٨	لَا تَخْتَصِمُوا

جدول يوضح عدد أساليب النهي في كل سورة

م	اسم السورة	عدد أساليب النهي
١	الأحقاف	١
٢	محمد	٢
٣	الحجرات	٩
٤	ق	١

وبالنظر إلى الجداول السابقة، يُلاحظ أن أكثر السور اشتمالاً على أسلوب النهي هي سورة الحجرات وذلك لأن السورة عرضت آداب يجب أن يتجنب المؤمنون التعامل بها مع الرسول (ﷺ) مثل رفع صوتهم في حضرته، ومناداته باسمه، وفي حياتهم اليومية مع بعضهم البعض مثل السخرية، والظن، والتجسس، والتنابز بالألقاب.

الفصل الثالث

أسلوب النداء وأغراضه البلاغية

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول:

- ماهية النداء، أدوات النداء، ذكر الأداة وحذفها .
- علاقة أسلوب النداء بأساليب البلاغة الأخرى.

المبحث الثاني:

- المعاني البلاغية للنداء .
- أسلوب النداء في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية.

المبحث الأول

- ماهية النداء، أدوات النداء، ذكر الأداة وحذفها .
- علاقة أسلوب النداء بأساليب البلاغة الأخرى.

إن موضوع النداء من الموضوعات النحوية الجوهرية، فقد اهتم به أوائل النحاة من البصريين والكوفيين؛ لما له من ضرورة ومكانة في العملية التخاطبية؛ للتواصل بين المتخاطبين، ولكنه لم يظل قصراً على النحو، ذلك أن علماء البلاغة عندما نظروا في الأساليب وجدوا أن النداء يدخل في علم البلاغة، وقد احتل مكانة مهمة عندهم.

ويُعد النداء ضرباً من ضروب الإنشاء الطلبي، فهو دعوة من المنادي إلى المنادى؛ لإخباره من خلال هذه الدعوة –سواء أكانت صريحة أم خفية–، بمقتضيات وجب اتباعها، أو النهي عن أمور يجب الابتعاد عنها، والنداء كغيره من أساليب البلاغة الأخرى، يخرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى، مثل: التحذير، والإغراء، والاختصاص، وغيرها من المعاني البلاغية .

ولقد ورد هذا الأسلوب البلاغي في جزء الأحقاف في أحد عشر موضعاً، منها ثلاثة مواضع كان فيها النداء حقيقياً، فلم يخرج إلى أي معنى بلاغي، وتسعة مواضع خرج فيها النداء إلى معنى مجازي بلاغي، منها ما هو لنداء الخاص، ومنها ما هو لنداء العام، واستخدمه القرآن في غير موضع لتحقيق غاياتٍ مرجوة، "فالنداءات القرآنية للمؤمنين تربية عملية لهم، وبيان للطريق السوي التي يجب اتباعها في الشعائر والعبادات، والمعاملات، والمعاهدات، والنداء للمؤمنين بصفة الإيمان تذكيرٌ لهم أن يعملوا بمقتضى هذا الإيمان، وقوامه التصديق الباطني بوجود الله والتزام أوامره واجتناب نواهيه"[1]

ولقد تعددت أدوات النداء واستخداماتها، بين نداء البعيد، ونداء القريب، ولكن الملاحظ أن أكثر الأدوات استخداماً في القرآن الكريم هي "يا أيها"، وهي مستخدمة لنداء الخاص، حيث ذُكرت في جزء الأحقاف في ثمانية مواضع، اثنان منها في سورة محمد(ﷺ)، وستة في سورة الحجرات؛ لنداء

([1]) النداء في اللغة والقرآن: أحمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ١٤٥.

الخاص "يا أيها الذين ءامنوا"، "وهو يحمل صورة العطف ويزخر بجو من المحبة، ويوحي بتعاطف كبير كأن الذين ءامنوا هم الأهل والأحبة والمقربون"[١].

ومن الملاحظ أن أسلوب النداء تناقلته كتب النحو والبلاغة العربية، وكان له الحظ الأوفر بين الأساليب البلاغية، فهو ذو أهمية كبرى في المنظومة العربية، سواء أكان نداء العام أم نداء الخاص، فجاء ذلك واضحاً في القرآن الكريم من نداء الرسل لأقوامهم، ونداء الله عز وجل لخلقه.

ماهية النداء:

النداء لغةً هو "الدعاء بأرفع الصوت، وقد تناديه نداء، وتنادوا أي نادوا بعضهم بعضاً"[٢] ويُعرف أيضاً على أنه "الصوت وقد يُضم مثل الدُعاء والرُغاء، وناداه مناداةً ونداء أي صاح به"[٣]

وكما ذكرنا سابقاً أن النداء في الأصل هو موضوع من موضوعات النحو، فقد عرفه سيبويه " اعلم أن النداء، كل اسم مضاف فيه، فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب"[٤]، وقد عرفه البلاغيون على أنه "طلب الإجابة لأمر ما، بحرف من حروف النداء ينوب مناب أدعو[٥]

([١]) المرجع السابق ١٦٥.

([٢]) لسان العرب ١٥/ ٣١٥.

([٣]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/، ٢٥٠٥.

([٤]) الكتاب كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ١٨٢/٢.

([٥]) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م، ٢٤٠/١.

ومن خلال التعريفات السابقة تبنت الباحثة تعريفاً للنداء هو: جذب انتباه المخاطب لأمر ما إما ترغيباً، أو ترهيباً، أو استفاهماً، أو أمراً أو غيره من الأغراض البلاغية، باستخدام أداة من أدوات النداء.

أدوات النداء:

لكل أسلوب من الأساليب الإنشائية أدوات خاصة به، يُعرَف من خلالها، وكذلك أسلوب النداء له أدوات وحروف خاصة به، منها ما هو للبعيد، ومنها ما هو للقريب، وهي: يا، الهمزة، أي، آي، أيا، هيا، وا، آ،وتُعد(الهمزة ، وأي) من حروف النداء لنداء القريب، أما(يا، آي، أيا هيا، وا، آ) فهي لنداء البعيد.[1]

وقد تحذف أداة النداء ويرجع السبب في ذلك؛ لكون المنادى معروفاً بحيث يكون في منزلة قريبة جداً من المنادي، مثل النداء لله عز وجل، وجزء الأحقاف قد تضمنت آياته بعض من هذا الحذف، سيتم تبيانها لاحقاً.

وعليه" فإن حذف أداة النداء له دلالة في نفس البليغ، وهي أن المنادى هو في أقرب منازل القرب من المنادي، حتى لم يحتج إلى ذكر نداء له لشدة قربه، وهذا يليق بمقام دعاء الرب جل وعلا، فإذا قال الداعي "يا رب" فهو يُعبر بذكر أداة النداء عن شدة حاجة نفسه لما يدعو به، أو يُعبر عن ألمه أو استغاثته أو ضيق صدره"[2]، مثالٌ على ذلك كما في سورة الأحقاف، حيث

([1]) كتاب الواضح: أبو بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي، تحقيق أ.د:عبد الكريم خليفة، مركز الرواد، ط٢، ٢٠١١م،٩٨، وينظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني: فضل حسن عباس، دار الفرقان، إربد، ط١، ١٩٨٥م، ١٦٤.

([2]) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ٢٤٢.

حُذفت أداة النداء في الآية:﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، والأصل قول الإنسان "يا رب" ويرجع السبب في حذف أداة النداء "يا" لأن المنادى وهو الله عز وجل هو في أقرب منزلة للمنادي.

ويقول الميداني: "كل نداء في القرآن الكريم فيه نداء لله عز وجل، حُذفت منه الأداة ما عدا نداءين ناداهما الرسول محمد(ﷺ)، الأول﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآَنَ مَهْجُورًا﴾[2]، وفي هذه الآية تعبير عن الحالة النفسية الحزينة للرسول(ﷺ) على قومه، والثاني ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّايُؤْمِنُونَ﴾[3]، فعبر بأداة النداء عن تلهفه لإيمانهم ونجاتهم وتوجع قلبه من أجلهم"[4]

معاني أسلوب النداء:

تختلف معاني أسلوب النداء تبعاً لاختلاف المنادى والمنادي، فقد يكون معنى النداء هو الأمر، أو الدعاء، أو الالتماس، أو غير ذلك وهذا ما يسمى معانى أسلوب النداء وأغراضه، وتنقسم إلى قسمين هما: القسم الأول: نداء الأعلى للأدنى، وهو ما يُعبر عنه بالأمر عند البلاغيين، مثل مخاطبة الله عز وجل لخلقه إما ترغيباً أو تحذيراً، وكذلك مخاطبة الرسل لأقوامهم؛

([1]) آية ١٥ من سورة الأحقاف.

([2]) آية ٣٠ من سورة الفرقان.

([3]) آية ٨٨ من سورة الزخرف.

([4]) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها١/ ٢٤١-٢٤٢.

لترغيبهم في الدين والترهيب من الكفر، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[1][2]

أما القسم الثاني: فينقسم إلى محورين يحملان معنى الدعاء والالتماس.

الأول: نداء يُعبر عنه بالدعاء مثل نداء المخلوقين لرب العزة تبارك وتعالى كما في قوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[3]

والمحور الثاني من هذا القسم: نداء المخلوق الأدنى في الرتبة إلى الأعلى منه كقوله عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[4] [5]

وقد لاحظت الباحثة من خلال اطلاعها واستخراجها لأساليب النداء في جزء الأحقاف، أن الأداة الأكثر استخداماً في هذا الأسلوب (يا أيها)، وأثناء البحث في المراجع والمصادر كان هناك تفسير لكثرة استخدام هذه الأداة.

والسؤال الذي يُطرح: لِم كثر النداء في القرآن بـ (يا) المضافة إلى (أيها) دون غيرها؟

إن الغرض من الآيات التي ذُكرت فيها أداة النداء (يا) المضافة إلى (أيها)، هو التنبيه والتذكير لهؤلاء المؤمنين إما من خلال أمرهم بشيء يجب فعله، أو النهي عن فعل بالابتعاد عنه، فقد جاءت هذه الأداة؛ لتوضيح غرضه الآية وهدفها، "يا أيها فيها من التأكيد وأسباب المبالغة منها

([1]) آية ٣٣ من سورة محمد.

([2]) ينظر: أسلوب النداء في القرآن الكريم "دراسة تطبيقية في السور المكية ": عبد الرحمن بن أحمد المقري، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ،٢٠٠٧م، ٣٢.

([3]) آية ٨٣ من سورة الشعراء.

([4]) آية ٤٢ من سورة مريم.

([5]) ينظر: أسلوب النداء في القرآن الكريم: رسالة ماجستير، ٤٥.

ما في (يا) من التأكيد والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في التدرج من الإبهام في (أي) إلى التوضيح ، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد؛ لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وأخبار الأمم الماضية، أمور عظام وخطوب جسام واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ"[1]

ومن الملاحظ أن (يا أيها) تجمع بين التأكيد والمبالغة والتوضيح، أكثر من غيرها من أدوات النداء الأخرى، والسياق القرآني للآيات التي ذُكرت فيها يتطلب ذلك، وهذا ما توضحه الآيات لاحقاً في هذا الفصل.

ولقد كُرر النداء في الآية الأولى والثانية من سورة الحجرات حيث قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[3] ، فالغاية من التكرار هو "تجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وعدم الغفلة وتجديد الانتباه لكل ما هو صادر بأمر من رب العزة"[4]

([1]) المرجع السابق ١٣٥، وينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين٢٦٥.

([2]) آية ١ من سورة الحجرات.

([3]) آية ٢ من سورة الحجرات.

([4]) يُنظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين.٢٦٦

علاقة أسلوب النداء بأساليب البلاغة الأخرى

إن أسلوب النداء غالباً ما يقترن به أسلوب الأمر، والنهي، والاستفهام، وكأنه يهيئ النفس لتلقي تلك الأساليب، فهي تقوى للفت الذهن وتنبيه المشاعر، فإذا جاء أي أسلوب بعد النداء كانت النفس مُهيأة لتلقيه، بحسٍ واعٍ وذهنٍ منتبه، لذا كثر مصاحبة النداء لتلك الأساليب في القرآن الكريم وهذا ما تناوله هذا المبحث، ويقول سيبويه: " إن المنادى مختص من بين أمته لأمرك أو نهيك أو خبرك"[1]

علاقة أسلوب النداء بأسلوب الأمر

أولاً: سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2]

جاء أسلوب الأمر على غير صورته، من أفعال وأسماء للأمر فخرج عن فعل الأمر ولكنه حمل معنى الأمر، فلفظة (وصينا) احتوت بين طياتها معنى الأمر من الله عز وجل، آمراً الإنسان أن يُحسن لوالديه[3]، ولقد أُتبع أسلوب الأمر بأسلوب النداء، فجاء أولهما من الأدنى(المؤمنين)

([1]) الكتاب كتاب سيبويه٢/ ٢٣١-٢٣٢.

([2]) آية ١٥ من سورة الأحقاف.

([3]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: أبو اسحاق ابراهيم بن السري، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م،٤/٤٤٢.

للأعلى(لرب العزة)، فبعد المشقة والتعب الذي أنهك جسد الأم في فترة الحمل والرضاعة، دعا المؤمن ربه عز وجل دعاءً خالصاً، بأن يساعده لعمل الأعمال الصالحة، التي يرضاها الله عز وجل؛ ليكمل مسيرته في هذه الحياة التي بدأها بطاعته لوالديه، فاسم الله عز وجل حمل معنى النداء محذوف الأداة (ربِ)، والمعاني المختزلة في أفعال الأمر(أوزعني، أصلح) خرجت إلى معنى الدعاء.

يقول تعالى: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]

بُدئت الآية بأسلوب النداء(يا قومنا)، الذي خفيت معانيه البلاغية؛ ليوضحها أسلوب الأمر(آمنوا، أجيبوا)، فأسلوب الأمر توضيح وبيان لسبب هذا النداء، الذي نادى به الجن قومهم للاستماع للقرآن، وأمرهم بالإيمان بالرسول(ﷺ) واليوم الآخر، وفائدة ذلك الإيمان جاء في ختام هذه الآية من غفران بعض الذنوب والإجارة من النار، وفي ذات السياق "أمر بإجابته في كل ما أمر به، فيدخل فيه الأمر بالإيمان، إلا أنه أعاد ذكر الإيمان على التعيين، لأجل أنه أهم الأقسام وأشرفها، ولما أمر بالإيمان به، ذكر فائدة ذلك الإيمان "يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ"، و(مِن) في هذه الآية لها وجهان إما زائدة، فيصبح معنى الآية يغفر لكم ذنوبكم، وإما أن تكون لابتداء الغاية فيقع ابتداء الغفران بالذنوب، ثم ينتهى إلى غفران ما صدر عنكم من ترك الأولى والأكمل"[2]، وعلى كلا الوجهين تظل مغفرة الذنوب محور النداء.

([1]) آية ٣١ من سورة الأحقاف.

([2]) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر، ط١، ١٩٨١م ٢٨/ ٣٣.

ثانياً: سورة محمد

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[1]

ذُكرت في هذه الآية ثلاثة أساليب(النداء والأمر والنهي)،حيث أُفتتحت الآية السابقة بالنداء الموجه لبعض المؤمنين الذين لا يتحرون الطاعة الكاملة، تلاه أمرٌ لهم بوجوب طاعة الله وطاعة رسوله، تأكيداً لأسلوب النداء؛ لأن طاعة الله لا تكون إلا من المؤمنين حقاً، وقد جاءت كلمة(أطيعوا) مكررة مرتين لتأكيد هذه الطاعة، وختمت الآية بأسلوب النهي(لا تبطلوا أعمالكم) ؛تحذيراً للمؤمنين بالابتعاد عن كل ما يُبطل أعمالهم، بعد أن استجابوا لنداء الله عز وجل وأمره لهم، "والعطف هنا من باب عطف السبب على المسبب؛ لأن طاعة الله تحمل على طاعة الرسول وهذه إشارة إلى العمل بعد حصول العلم،(لا تبطلوا أعمالكم) فيها عدة وجوه[2]

ثالثاً: سورة الحجرات

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3]

لقد اقترن أسلوب النداء(يا أيها) بأسلوب الأمر(اتقوا)، والنداء والأمر مخصصان هنا للمؤمنين، وقد ذكر الله عز وجل أسلوب الأمر في نهاية الآية من خلال الفعل اتقوا، فتقوى الله عز وجل تكمن باتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه، وبعد ذكر ما نهى الله عنه في هذه الآية أورد سبحانه وتعالى الأمر بالتقوى، لمَن استجاب لما نهى الله عنه، وبيان سبب هذا النداء قد اتضح معناه من خلال استخدام ما تلاه من نهيٍ وأمرٍ، والذي أتم الغرض الحقيقي من نداء المؤمنين،

([1]) آية ٣٣ من سورة محمد.

([2]) المرجع السابق ٧٢.

([3])آية ١ من سورة الحجرات.

وفى الآية(إن الله سميع عليم) تقديم وتأخير، فالله سبحانه وتعالى سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، وقدم السمع على العلم من باب التخويف للمؤمنين؛ فهو سميع بما تهمس به الأنفس، عليم ما تخفيه الصدور، وهذا "خبر يتضمن التخويف والتهديد، وذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم فهو أولى بالتقديم، ويمكن أن يُقال إن السمع من وسائل العلم فهو يسبقه، فبدأ بالسمع لتعلقه بالأصوات، وإن من سمع حسك فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم، وإن كان علم الله تعلق بما ظهر وما بطن."[1]

يقول عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[2]

إن ارتباط كلمة (الذين آمنوا) بما أمر الله به، لهو دليل على أن هذه الصفات مختصة بالمؤمنين فقط، وعليه فقد خصهم الله عز وجل بندائه، فوجب على هؤلاء المؤمنين اتباعها، فالتحري من الأخبار قبل إذاعتها ونشرها أمر في غاية الأهمية؛ لما له من آثار ونتائج سيئة تؤدي بصاحبها إلى الندم، ويُلاحظ تنكير كلمة(فاسق) وكلمة(نبأ)؛ لتهويل الأمر، والتراجع عنه، والانتباه إلى ما يحدث، وعليه وجب التحري من أي نبأ يجيء به أي فاسق على وجه العموم، وفي هذه الآية آداب عامة يجب تحريها، حيث "نادي الله سبحانه وتعالى المؤمنين؛ لتعليمهم أدباً وهو أدب تلقي الأخبار وإذاعتها"[3].

([1]) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الثراث، ط٣ ،١٩٨٤م ،٢٤٩/٣، ويُنظر: التقديم والتأخير في القرآن: قسطاس ابراهيم النعيمي، موقع جامعة الإيمان، ٢٧ يناير ٢٠١٣م.

([2]) آية ٦ من سورة الحجرات.

([3]) النداء في اللغة والقرآن ١٤٨.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1]

لقد اقترن أسلوب النداء(يا أيها) بأسلوب الأمر(اجتنبوا)، فكان النداء موجهاً للمؤمنين خاصة حيث أمرهم الله بالابتعاد عن الظن السيء، معللاً سبب هذا النهي بأن بعض الظن يوقع في الإثم، ومؤكداً على إثمه بالحرف (إنّ) المؤكدة وتكرار كلمة (الظن)، وأسلوب النداء جاء متناسباً ومتناسقاً مع أسلوب الأمر؛ لأن كلا الأسلوبين بألفاظهما ومعانيهما يؤكد ما ترمى له هذه الآية من مغزى وهدف وأدب يجب اتباعه، والمفردات تتعانق مع بعضها البعض في السياق و"الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، إن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها"[2]، فلفظة الذين آمنوا توحي بالإيمان الحقيقي، والمنهيات التي نهى الله عنها من عدم التجسس، واجتناب الظن، وعدم الغيبة هي من ركائز ذلك الإيمان.

([1]) آية ١٢ من سورة الحجرات.

([2]) دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ٤٦.

علاقة أسلوب النداء بأسلوب النهي

أولاً: سورة محمد

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[1]

لقد ورد في الآية السابقة أسلوب نداء، متبوعاً بأسلوب أمر، ثم أسلوب النهي، حيث ينادي الله فيها المؤمنين، وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله(ﷺ)، ثم جاء أسلوب النهي؛ لبيان نتيجة عدم الالتزام بما أمر الله به، من بطلان الأعمال بالكفر، والرياء، والنفاق.

ثانياً: سورة الحجرات

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]

ارتبط أسلوب النداء في هذه الآية بأسلوبي النهي والأمر، ففي هذه الآية وجب على المؤمنين الرجوع في أي أمر يريدون الحكم فيه، إلى كتاب الله وسنة نبيه، وعدم أخذ الحكم والرأي من تلقاء أنفسهم، وتوالت الأساليب الثلاثة في هذه الآية النداء ثم النهي ثم الأمر، فالنداء كان لجذب انتباه المخاطب، وهم المؤمنون، والنهي؛ لبيان سبب هذا النداء ثم خُتمت الآية بالأمر الذي تطلب تقوى الله وطاعته فيما نهى عنه، فكل من الأساليب الثلاثة كان لبيان السبب وتوضيحاً للأسلوب السابق له.

([1])آية ٣٣ من سورة محمد.

([2]) آية ١ من سورة الحجرات.

يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[1]

إن أسلوب النداء هنا موجة للذين ءامنوا، ولبيان سبب هذا النداء ذُكر أسلوب النهي تالياً له، موضحاً أن مخاطبة الرسول(ﷺ) بصوت منخفض لهو احترام وتوقير له، وقد أمر الله المؤمنين بعدم مخاطبة الرسول باسمه "يا محمد ولكن قولوا يا نبي الله– يا رسول الله، يا أبا القاسم"[2]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "[3]

تدعو الآية إلى توفير إنسانية البشرية وكرامتها لكل فرد، بغض النظر عن اللون والنسب، والعرق، والجاه، والمال، فالإيمان يساوي بين المؤمنين في الاعتبار البشري، والتداعي بالألقاب السيئة يعيد الفجوة في هذا الاعتبار[4]، والنداء هنا للمؤمنين لنهيهم عن التجسس والتنابز بالألقاب، والابتعاد عما ذكر في أسلوب النهي جاء؛ للتأكيد على أن أسلوب النداء خاصٌ بالمؤمنين دون غيرهم، ولقد ذكر الله عز وجل "تعليلاً لذلك النهي في قوله تعالى:" عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ"،

([1]) آية ٢ من سورة الحجرات.

([2]) معاني الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٣٨م، ٣ /٧٠.

([3]) آية ١١ من سورة الحجرات.

([4]) ينظر: النداء في اللغة والقرآن ١٤٢-١٤٣.

ولم يقتصر النهي على الرجال والنساء، وإنما يشمل عامة الأفراد؛ لأن علة النهي عامة، فتفيد عموم الحكم لعموم العلة"[1]

والمتأمل لسورة الحجرات يجد أن أسلوب النداء قد تكرر في أكثر من موضع؛ وذلك لأن للتكرار بشكل عام فائدة كبيرة في اللغة العربية، فهو يُمكن القارئ من الانتباه وتجديد الاستبصار فيما يقرأ، ودعوة من المخاطب للتأمل والتركيز والإنصات لكل حكم نازل، وكما ذُكر" إن الهدف من التكرار هو تجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وعدم الغفلة عن التأمل، وتجديد الانتباه لما هو صادر بأمر من الله عز وجل"[2] حيث إن الوقوف على جزء من هذه الآية "يا أيها الذين آمنوا" فيه انتظار من القارئ وتركيز لجميع حواسه؛ لمعرفة مضمون النداء وإلام ينادي الله عز وجل عباده المؤمنين.

([1]) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١٠، م١٣، ٥٨٢/٢٥.

([2]) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين٢٦٦ ، يُنظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه٢٧٦/١٣.

المبحث الثاني

- المعاني البلاغية لأسلوب النداء .

- أسلوب النداء في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية .

المعاني البلاغية لأسلوب النداء

يُعد أسلوب النداء كغيره من الأساليب البلاغية الأخرى، التي يخرج معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال التي ترد فيه، ومن هذه المعاني:[١]

الدعاء: كقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقولونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢]

التحسر: يرافقه الندم و التمني غالبًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾[٣]

التمني: تعبيراً عن مشاعر النفس المتمنية أمراً عسيراً، قال تعالى:﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٤]

الإغراء والتحذير: وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾[٥][٦]

---

(١) ينظر: النداء في القران الكريم "سورة البقرة نموذجاً": مبارك تريكى، رسالة دكتوراة، جامعة ابن يوسف بن حدة ، الجزائر، ٢٠٠٧م، ٩١-٩٢.

(٢) آية ١٠ سورة الحشر.

(٣) آية ٤٠ سورة النبأ.

(٤) آية ٧٩ سورة القصص.

(٥) آية ١٣ سورة الشمس.

(٦) أساليب بلاغية الفصاحة- البلاغة- المعاني: أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت ، ط١، ١٩٨٠م، ١٢٩.

والأغراض البلاغية مرتبطة بالمشاعر النفسية للمتكلم، فقد يكون المنادى تنتابه حالات التمني تارة، وتارة التعجب وهى "أغراض نفسية شعورية مرتبطة بخوالج النفس البشرية، ومشاعرها الكامنة فيها، وعليه فهي معانٍ مؤهلة بطبيعتها لأن تختلف حولها الأفهام"[1].

وفيما يلى ذكر للمعاني البلاغية، التي خرج إليها أسلوب النداء في سورة الأحقاف.

(1) النداء بين النحويين والبلاغيين: مبارك تريكي، حوليات التراث، المركز الجامعي المدية، ع٧، ٢٠٠٧م، ١٤٥.

أسلوب النداء في جزء الأحقاف

أولاً: سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [1]

لقد أوصانا الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة ببر الوالدين والإحسان إليهما، وجعل طاعته مقرونةً بطاعتهما، وقدَم للإنسان مثالاً يُحتذى بضرورة شكر الله على نعمه، ولزوم العمل الصالح والتوبة والإنابة.

ويؤكد على المعنى نفسه القول "ووصينا آدم بوالديه الحسنى في صحبته إياهما أيام الدنيا والبر في حياتهما، وبعد مماتهما لما لقياه في حمله وتربيته، قال هذا الإنسان الذي هداه الله لرشده وعرف حق الله في بره لوالديه، أعنى على شكر نعمتك التي أنعمت علّي ، وأصلح لي أموري في ذريتي الذين وهبتهم لي، فإني تبت إليك من الذنوب التي سلفت مني، وأنا من الخاضعين لك بالطاعة."[2]

وتجدر الإشارة إلى أن "رب" منادى محذوف الأداة، فالمنادى (رب العزة)، وهو قريب جداً منا ولذا حُذفت أداة النداء، وخرج النداء عن معناه الحقيقي إلى معنى الدعاء.

([1]) آية ١٥ من سورة الأحقاف.

([2]) الهداية إلى بلوغ النهاية: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ط ١، ٢٠٠٨م، ١١ /٦٨٤٢-٦٨٤٤.

قال تعالى:﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]

مما لاشك فيه أن الله سبحانه وتعالى يجازي الإنسان على ما قدم من عمل، فمن آمن به والتزم أوامره، وابتعد عن نواهيه، غفر له ذنوبه وأجاره من العذاب، ولا شك أيضاً بأن ذلك كله يجري على الجن كما الإنسان، حيث إن " نداء الجن لقومهم أجيبوا داعى الله، أمر بإجابته في كل ما أُمر به، فيدخل فيه الأمر بالإيمان؛ لأن الإيمان أهم أقسام المأمور به وأشرفها، فذكره على التعيين من باب ذكر العام، ثم يعطف عليه أشرف أنواعه، فالله يغفر من الذنوب، فالجن لهم الثواب في الإحسان وعليهم العقاب في الإساءة "[2].

والناظر إلى الآية الكريمة يجد أن القول "يا قومنا"، هو أسلوب نداء، أداته "يا"، والمنادي "نفر الجن"، والمنادى "القوم"، للتحبيب والتقريب، وأسلوب النداء هنا جاء للنصح والإرشاد لهؤلاء القوم بالإيمان بالله ورسوله.

ثانياً: سورة محمد

يقول رب العزة:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[3]

لا يخفى على ذي لُب بأن النصر للمؤمنين يأتي بنصرهم لربهم، وبإيمانهم وتمسكهم بأوامره كما جاء واضحاً في الآية الكريمة، التي اشتملت على أسلوب نداء خاص بالمؤمنين دون غيرهم، حيث خصهم الله بهذا النداء باستخدام أداة النداء "يا" في "يا أيها"، لما فيها من توضيح وتنبيه

([1])آية ٣١ من سورة الأحقاف.

([2]) لباب التأويل في معاني التنزيل: العلامة على بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي، بهامشه تفسير الشيخ محى الدين عربي ،١١٦-١١٧.

([3]) آية ٧ من سورة محمد .

وتأكيد على صفة الإيمان وصفات المؤمنين، ويقول الإمام الحنبلي: "إن تنصروا دين الله وتنصروا الرسول (ﷺ)، ينصركم الله على عدوكم، وقيل إن تنصروا حزب الله وفريقه، يثبت أقدامكم عند القتال"[1]، وفي الآية الكريمة أسلوب النداء "يا أيها"، وأداته "يا" جاء للتنبيه والتوضيح والغرض البلاغي منه الترغيب والتنبيه المنادي إلى أمر عظيم، وفيه دعوة للمؤمنين بلزوم نصر الله؛ لما في ذلك من ثواب عظيم، والمتأمل للآية يجد أنها تتضمن أسلوب شرط في قوله:" إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، وارتباطه بالنداء هنا يقيم التوازن بين النصر وأسبابه.

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[2]

لقد تضمنت الآية الكريمة السابقة نداءً للمؤمنين؛ لطاعة الله ورسوله وبينت بأن التارك لهذين الأمرين يُجازى ببطلان عمله وخسرانه، وذكر ابن كثير "أمر الله عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، التي هى سعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل الأعمال، ولهذا قال "لا تبطلوا أعمالكم" أي بالردة"[3]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أسلوب النداء في الآية السابقة "يا أيها"، وأداته "يا"، يحمل بين طياته معاني كثيرة كالتنبيه، والتوضيح، والتأكيد على طاعة الله ورسوله(ﷺ)، والمعنى المجازي لهذا النداء هو الحث على طاعة الله ورسوله، والتحذير من الكفر والرياء.

([1]) اللباب في علوم الكتاب: الإمام أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد بن الموجود، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م،١٧/ ٤٣٥.

([2]) آية ٣٣ من سورة محمد.

([3]) تفسير القرآن العظيم: الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة، الجيزة ، ط١، ٢٠٠٠م، ٨١/١٣.

ثالثاً: سورة الحجرات

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]

نادى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بشكل خاص، وهو نداء من الأعلى(رب العزة)، للأدنى (المؤمنين)، بألا يحكموا بأي أمرٍ قبل أن يحكم الله و رسوله به وأمرهم بالتقوى، وفى ذلك التزامٌ بما أراد الله، وابتعاد عن مخالفته ومخالفة القرآن والسنة، ويقول الطبري: " يا أيها الذين أُمروا بوحدانية الله وبنبوة نبيه محمد(ﷺ)، لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله أمراً حكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله(ﷺ)، فخافوا الله أيها المؤمنون في قولكم، إن الله سميع لما تقولون"[2]، وأسلوب النداء في هذه الآية خاص بالمؤمنين، وقد أفاد "قوة الاختصاص فإن مساق الكلام؛ لإجلاله لاختصاصه به تعالى"[3] ، والمعنى البلاغي لهذا الأسلوب هو النصح والحث والتشجيع للمؤمنين بطاعة الله واتباع القرآن الكريم وسنة الرسول(ﷺ).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[4]

لا يختلف اثنان على أن الرسول(ﷺ) يحظى باحترامٍ وتكريمٍ من المؤمنين كافة، حيث يوقرونه ويعظمونه في كل قولٍ وفعل، ولعل ما بدر من بعض من رفع الصوت والجهر بالقول في

([1]) آية ١ سورة الحجرات.

([2]) جامع البيان عن تأويل آى القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن المحسن التركي، دار هجر،ط١، ٢٠١١، ١١/ ٣٣٥.

([3]) حاشية القونوي عصام الدين الحنفي على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، ضبطه وصححه وخرج آياته عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ١٠٥/١٨.

([4]) آية ٢ من سورة الحجرات.

حضرة النبي(ﷺ)، ووصفه الله بأنه تجاوز لمقامه لم يكن من باب القصد والعمد، غير أنه لا يليق بمقام النبي حتي وإن كان سهواً، فجاءت الآية؛ لتنهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوت النبي(صلى الله عليه وسلم) وأمرهم بمناداته بالنبي أو الرسول وليس باسمه.

ويقول الإمام الشافعي "ينادى رب العزة المؤمنين ويقول لهم: لا تجاوزوا أصواتكم عن صوت النبي(ﷺ)، بل اجعلوا أصواتكم معه اخفض من أصوات بعضكم من بعض، أو لا تخاطبوه باسمه وكنيته بل خاطبوه بالنبي والرسول، كقوله تعالى:" لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا"[1] [2]، وبالرجوع إلى الآية الكريمة يتضح أن أسلوب النداء المستخدم أداته" يا"، خرج من معناه الحقيقي إلى معنىً مجازي وهو النصح والإرشاد للمؤمنين؛ لتوضيح كيفية التعامل مع الرسول الكريم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[3]

إن المؤمن الحق هو الذي يتحرى الأخبار قبل إذاعتها، والله سبحانه وتعالى يخص المؤمنين بالتريث، والتأكد من صحة الأخبار التي تصلهم من أي فاسق كان، وتنكير كلمة (فاسق) أفادت العموم والشمول، يقول سيد قطب:" جاء النداء؛ ليبين للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء، وكيف يتصرفون بها، ويقرر ضرورة التثبت من مصدرها، وتتضمن هذه الآية مبدأ التمحيص والتثبت من

---

(1) آية ٦٣ من سورة النور.

(2) جامع البيان في تفسير القرآن٤/ ١٦٧.

(3) آية ٦ من سورة الحجرات.

خبر الفاسق، أما الصالح فيؤخذ بخبره، فلا تعجل الجماعة المسلمة في تصرف بناء على خبر فاسق، فتصيب قوماً بظلم عن جهالة وتسرع، فتندم على ارتكابها ما يغضب الله سبحانه وتعالى"[1]

وقد اشتملت الآية على أسلوب نداء في قوله "يا أيها"، وجاء خاصاً بالمؤمنين دون غيرهم وغرضه البلاغي النصح والإرشاد بضرورة تحري الأخبار قبل إذاعتها، وجاء أسلوب الشرط "**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ**"، مقترناً بالنداء لبيان خطورة نقل الأخبار قبل التحقق من صحتها.

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]

لقد حث القرآن الكريم وما يحمله من معانٍ سامية، ودعوات إسلامية راقية تؤلف بين قلوب المؤمنين، إلى ضرورة صون كرامة المسلمين، وحفظ اعتبارهم الإنساني، وساقت الآية الكريمة بعضاً من صور الصون والحفظ منها: عدم السخرية من الآخرين، والابتعاد عن التنابز بالألقاب واللمز، فاللقب إن دل على ما يكرهه المدعو به كان منهياً، وأما ما كان حسناً فلا يُنهى عنه.

ولقد أورد أبو حيان الأندلسي" النهي ليس مختصاً بأنصابه على(قوم) و(نساء) بقيد الجمعية من حيث المعنى، وإن كان ظاهر اللفظ، بل المعنى لا يسخر أحد من أحد، وإنما ذُكر الجمع والمراد به كل فرد ممن يتناوله عموم البدل، فكأنه إذا سخر الواحد كان بمجلسه ناس يضحكون

([1]) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٤١.

([2]) آية ١١ من سورة الحجرات.

على قوله، وعسى أن يكونوا أي المسخور منهم أفضل من الساخرين بهم، وهذه الجملة مستأنفة وردت مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه"[1]

وبالعودة إلى الآية الكريمة يتضح أن أداة النداء المستخدمة "يا"، يُنادي الله بها المؤمنين، وأسلوب النداء هنا جاء لغرضٍ بلاغي هو الحث والنصح والإرشاد للذين آمنوا؛ للابتعاد عن كل ما يؤذي الكرامة الإنسانية.

يقول رب العزة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[2]

يُعد سوء الظن من أكثر ما يمكن أن يعود بالأذى على الآخرين، وبالإثم على صاحبه، ولقد نبّه القرآن الكريم إلى هذه النقطة المهمة، ودعا المؤمنين إلى اجتناب كثير من الظن، وعطف على ذلك بالنهي عن التجسس، وعن الغيبة وهى كلها أمور تعود بالإثم على صاحبها، فنهى الله عنها في الآية السابقة وجعل الابتعاد عنها من دواعي التقوى، ويبين الله "أن أكثر الظنون يؤول إلى الفساد، وأنها بعينها مأثمة؛ لأنها من قبل النفس الأمارة التي ليس لها النظر إلى العيوب، فتهيم في المخاييل الشيطانية، وذلك أن الشيطان يلقي فيها عيب المؤمنين ويهيجها بظنون مختلفة، ويُبين الله أن بعض الظنون حقيقية إذا كان ليس من قبل النفس، بل يكون ذلك من رؤية القلب ما جرى في الغيب، فيتفرس بنور اليقين ولذلك وصف المؤمنين بذلك بقوله "الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ

([1]) البحر المحيط: محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق السيخ عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ١١٢/٨.

([2]) آية ١٢ من سورة الحجرات.

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ""[1]، وأسلوب النداء في الآية هو "يا أيها"، وأداته "يا"، أما المنادي فهو الله عز وجل، والمنادى هم المؤمنون خاصة، والغرض البلاغي من النداء هنا النصح والإرشاد.

(1) عرائس البيان في حقائق القرآن: أبو محمد صدر الدين روزبها أبي نصر البقلي، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، ٣٢٩/٣.

جدول يوضح أساليب النداء في جزء الأحقاف

الآية	رقم الآية	الشاهد
سورة الأحقاف		
﴿ووصَّيْنَا الإنسان بِوالِدَيْهِ إِحْسانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ووضعتهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قال رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحًا تَرْضاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	١٥	رَبِّ
﴿يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ وَآمنوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ﴾	٣١	يا قَوْمَنا
سورة محمد		
﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	٧	يا أَيُّهَا
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾	٣٣	يا أَيُّهَا
سورة الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	١	يا أَيُّهَا
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا	٢	يا أَيُّهَا

تَشْعُرُونَ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾	٦	يا أَيُّهَا
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	١١	يا أَيُّهَا
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾	١٢	يا أَيُّهَا

جدول يوضح عدد أساليب النداء في كل سورة

م	اسم السورة	عدد أساليب النداء
١	الأحقاف	٢
٢	محمد	٢
٣	الحجرات	٥

عند النظر إلى الجدول أعلاه والجداول التي سبقته، يُلاحظ أن سورة الحجرات هي أكثر السور التي جاء فيها أسلوب النداء، وجُله موجه للمؤمنين وذلك لتوجيههم وتعليمهم آداب دينهم التي عليهم أن يتحلوا ويتمسكوا بها، وهذا سبب في أنها تسمى سورة الأخلاق والآداب.

الفصل الرابع

أسلوب الأمر وأغراضه البلاغية

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول:

- تعريف الأمر، صيغه، دلالاته.

المبحث الثاني:

- المعاني البلاغية لأسلوب الأمر.
- أسلوب الأمر في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية.

المبحث الأول:

- تعريف الأمر، صيغه، دلالاته.

أسلوب الأمر هو القسم الرابع من أقسام الإنشاء الطلبي، وقد ورد في جزء الأحقاف في عدة مواضع، منها ما كان معناه حقيقياً، وهو خطاب من الله عز وجل للرسول(ﷺ)، وذلك لِما تطلبته معاني وموضوعات سور هذا الجزء، من موضوع التوحيد، والرسالة، والوحي، والبعث، والجزاء، ومنها أساليب خرجت إلى معنى مجازي، تتضمن التهديد، التعجيز، الدعاء وغيرها من المعاني البلاغية حسب القرائن ومقتضيات الأحوال، ومن خلال الاستعانة بتفاسير القرآن، سيتم توضيح المعنى البلاغي لأسلوب الأمر.

والأمر نقيض النهى، فكل ما ينهى عنه الله عباده المؤمنين، يكون في مقابله أمر بفعل الشيء الحسن المقابل له، والمتأمل لآيات القرآن الكريم يجدها متكاملة، ومترابطة المعاني والأغراض والأهداف الدينية، وهذا ما يُلاحظ في آيات جزء الأحقاف من تكامل وترابط وتناسب بين الآيات وأحكامها.

تعريف الأمر:

الأمر لغةً هو "نقيض النهي، أَمره به وأمره، يأمره أمراً إماراً، فأُتمر أي قَبِل أمره"[1] ، وهو "ضد النهى كالإمار والإيمار بكسرهما"[2]، ويُقال الأمر" كل حدث يحدث، وكل قصة تقع، والأمر أيضاً مصدر أَمَرتُب الشيء إذا كثرته: هذه وجوه الأمر المستعملة عند العرب"[3]

([1]) لسان العرب٤/٢٦.

([2]) تاج العروس١٠/٦٨.

([3]) اتفاق المباني وافتراق المعاني: سليمان بن بنين الدقيقي النحوي، تحقيق يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٥م، ٢٣٢.

وأما اصطلاحاً: "صيغة تستدعى الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل، على جهة الغير على جهة الاستعلاء"[1]، و هو" طلب فعل شيء، ولا يسمى أمراً إلا إن كان صادراً من أعلى إلى من هو أقل منه"[2]،"الأمر هو قول القائل لمن دونه "افعل""[3]

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن أن تعرفه الباحثة بأنه: إلزام المخاطب للقيام بالفعل، ويكون الأمر بمعناه الحقيقي من الأعلى إلى الأدنى، فإن كان غير ذلك خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر.

صيغ أسلوب الأمر:

الأمر كالنهي والاستفهام وغيرها من الأساليب البلاغية، له صيغ محددة يُعرف من خلالها، وهي أربع صيغ :-

فعل الأمر مثل﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾[4]، المصدر النائب عن فعل الأمر مثل﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾[5]، اسم فعل

([1]) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني، دار الكتب الخديوية، مصر ،٣/ ٢٨١-٢٨٢.

([2]) النحو الوافي٤/ ص٣٦٦.

([3]) معجم التعريفات: علي بن محمد السيد الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، القاهرة، ٣٤.

([4]) آية ٤٥ من سورة العنكبوت.

([5]) آية ٤ من سورة محمد.

الأمر مثل" حي على الفلاح"، المضارع المقرون بلام الأمر مثل﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1][2]

دلالة أسلوب الأمر:

لأسلوب الأمر دلالات عديدة، منها دلالته على الاستعلاء والوجوب، ودلالته على الزمن، ودلالته على المقدار، فكل هذه الدلالات اختلف عليها البلاغيون والنحويون، وتعددت الآراء حول وجوب الأمر من الأعلى للأدنى، وهل صيغة الأمر تقتضي الفور أم التراخي؟، وهل الأمر يكون للمرة الواحدة أم صيغته تدل على الاستمرار، فكل هذه الآراء كانت وجه للخلاف بين البلاغيين والنحويين"[3]

ومن خلال النظر والتأمل في اختلاف العلماء والبلاغيين في صيغة الأمر، ترى الباحثة أن صيغة الأمر وجب فيها الاستعلاء من الأعلى للأدنى وإلا خرجت إلى معنى الدعاء والالتماس، أما الدلالة على الوجوب، فإن صيغة الأمر حقيقية في الوجوب، ما لم تكن هناك دلائل وقرائن تنفى ذلك الوجوب؛ لأن الأمر هو نقيض النهي، أما من حيث دلالته على الزمن فذلك حسب المخاطب، أي الآمر للمأمور فهو الذي يحدد الفور أم التراخي، ودلالته على المقدار فصيغة الأمر

---

(1) آية ٩ من سورة الفتح.

(2) الأصول من علم الأصول: محمد بن صالح العثيمين، حققه أبو اسحاق بن صالح العشري السلفي، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠١، ١٨.

(3) يُنظر: المحصول في علم أصول الفقه: محمد الدين الرازي، دراسة وتحقيق د. طه جابر فياض العلواني، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٩٨١م، ٣٠/٢.، ويُنظر: الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، علق عليه عبد الرازق عفيفي، ط١، ١٩٨١م، ١٧٦/٢-٢١٠، ويُنظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح١/ ٤٦٢.، يُنظر: المعتمد في أصول الفقه: أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي، تحقيق محمد حميد الله، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٤م، ٦٩.

تدل على القيام بالفعل لمرة واحدة، ولكن إن أراد الاستمرار وجب وجود قرينة تدل على الاستمرارية في الأمر.

المبحث الثاني

- المعاني البلاغية لأسلوب الأمر.
- أسلوب الأمر في جزء الأحقاف.

المعاني البلاغية لأسلوب الأمر

كما ذُكر سابقاً فإن كلاً من أسلوب الاستفهام والنداء والنهي أساليب بلاغية تخرج من معناها الحقيقي إلى معانٍ مجازية أخرى، ومثل كل الأساليب البلاغية فإن أسلوب الأمر تخرج صيغته من معناها الحقيقي، فتفيد معاني بلاغية أخرى تفهم من السياق بوجود القرائن ومقتضيات الأحوال، التي تدل على ذلك المعنى، لذلك وجب على الباحث أو القارئ التأمل في السياق؛ لأنه هو الذي تستمد منه الصيغة دلالتها البلاغية.

"ويمكن تداخل هذه المعاني البلاغية، فالنص على معنى بلاغي واحد في الأسلوب عند العلماء، لا يعنى أكثر من وضوح المعنى وشهرته، وإلا فإن أي أسلوب إنشائي سواء أكان أمراً أم غيره يفيد مجموعة من المعاني المتقاربة المتداخلة، يثيرها الأسلوب في النفس المتلقية، وهى معان شعورية نفسية، فقد نجد اختلافاً في تسمية هذا المعنى أو تعيينه بين العلماء؛ لأنها أمور ذوقية نفسية متقاربة."[1]

فمن المعاني التي يخرج إليها أسلوب الأمر:

(التهديد، التعجيز، التسخير، الإهانة) وأمثلتها من القرآن كثيرة منها على التوالى: قوله تعالى:﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2] ،﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا

([1]) يُنظر: أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: يوسف عبد الله الأنصاري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية ، ١٩٩٠م، ١٢-١٣.

([2])آية ٤٠ من سورة فصلت.

بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] ،﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[2]،﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾[3]

وكذلك يخرج الأمر إلى معنى الدعاء، حين تُستعمل الصيغة في سياق التضرع والاستغاثة والاستعانة، ويكون عادةً في خطاب الأدنى لمن هو أعلى منزلة منه[4] ، وهذه بعض الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الأمر.

([1]) آية ٢٣ من سورة البقرة

([2]) آية ٦٥ من سورة البقرة

([3]) آية ٥٠ من سورة الإسراء

([4]) الكافى في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع: د. عيسى على العاكوب، علي سعد الشتيوى، دار الهناء، ط١، ١٩٩٣م، ص ٢٥٢

أسلوب الأمر في جزء الأحقاف و معانيه البلاغية

يُعرف الأمر بأنه طلب الفعل على وجه الاستعلاء، إذا كان المراد منه إلزام المخاطب بالقيام بالفعل، ولكن إذا خرج إلى معانٍ بلاغيةٍ أخرى فإنه يخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، وسوف أسلط الضوء فيما يلي على أساليب الأمر الواردة في جزء الأحقاف، التي خرجت عن معناها الحقيقي، وقد وردت في تسعة وعشرين موضعاً.

أولاً: سورة الأحقاف

قال تعالى:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

تتضمن الآية السابقة أمراً من الله عز وجل لنبيه محمد(ﷺ)، بأن يسأل الكافرين توبيخاً لهم وتبكيتاً، ماذا خلقت الأصنام لهم من مخلوقات؟!، فإن خلقوا شيء فليأتوا به إن كانوا صادقين، ويقول أبو السعود" قل توبيخاً لهم وتبكيتاً، أخبروني ما تعبدون من الأصنام؟ ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شركة مع الله في خلق السماوات أو ملكها وتدبيرها، حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية، فإن ما لا مدخل له في وجود شيء من الأشياء بوجه من الوجوه، فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة، إن كان من الأحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد، وقوله تعالى " اِئْتُونِي بِكِتَابٍ"، تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلي، بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند

([1]) آية ٤ من سورة الأحقاف.

عقلي"[1]، وبالرجوع إلى الآية الكريمة نجد أن فعل الأمر "قل"، موجه للرسول(ﷺ)، والآمر هو رب العزة، فالمعنى لأسلوب الأمر هنا حقيقي، وأصله " قل يا محمد" وعليه فإن أسلوب الأمر هنا لم يخرج إلى معنى مجازي، أما عن فعلا الأمر(أروني، ائتوني) فهما للكافرين وغرضهما البلاغي بيان عجزهم وعجز آلهتهم، عن الإتيان بشيء مما خلقوا كما يدّعون.

يقول الله تعالى:﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَبَلَغَ أَشُدَّهُ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2]

لقد ذُكر في الآية السابقة أسلوبا أمر هما "أوزعني، أصلح"، والأمر في هذه الآية خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو الدعاء، حيث تضمنت دعاء الإنسان المؤمن البار بوالديه لله سبحانه وتعالى، بأن يلهمه شكره على نعمه ويصلح ذريته، وهو أمر كما ذكرت خرج للدعاء؛ لأنه صادر من الأدنى إلى رب العزة، ويقول الطوسي: "أمرنا الانسان بأن يحسن إلى والديه إحسانا، ثم نبه الله سبحانه وتعالى على ما يستحقه الوالدان من الإحسان إليهما ومعاملتهما، من حيث إنهما تكفلا به وربياه، فأمه حملته ووضعته بمشقة، ثم يدعو الإنسان ربه إذا بلغ أشده أن أعمل صالحاً

([1]) تفسير أبو السعود المسمى ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،٧٧/٨.

([2]) آية ١٥ من سورة الأحقاف.

ترضاه وأصلح لي في ذريتي، فإني تائب إلى الله من المعاصي، وإني من جملة المسلمين لأمر الله"[1]، فالغرض البلاغي من الأمر في هذه الآية هو الدعاء والتضرع والتذلل.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آَمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[2]

إن المتأمل للخطاب القرآني في هذه الآية، يجده قد جاء بصيغة المفرد ولكن المراد الجمع، فالمخاطب هنا هو الكافر الذي لا يؤمن باليوم الآخر، وبحقيقة البعث والنشور بحجة أنه لم يرَ أحداً ممن مات من قبل من الأمم السابقة قد بُعث وعاد إلى الحياة.

ولقد جاء أسلوب الأمر بفعله "آمن"، متبوعاً بأسلوب قصر؛ للتأكيد على تشبث الكافر بكفره فيما يختص بحقيقة البعث والنشور، ووصفه لذلك بأنه أقاويل وأكاذيب الأمم السابقة و"الذي قال لوالديه هنا بمعنى (الذين)، وأن الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث، فوالداه يستغيثان الله أي يطلبان منه أن يغيثهما بأن يهدى ولدهما إلى الحق والإقرار بالبعث، ويقولان لولدهما "ويلك آمن" أي بالله والبعث بعد الموت، والمراد بقولهما ويلك حثه على الإيمان، "إن وعد الله حق"، أي وعده بالبعث بعد الموت حق لا شك فيه، فيقول الولد العاق ما هذا إلا ما كتبه الأولون من الأشياء التي لا حقيقة لها"[3] ، والآية فيها فعل الأمر "آمن" وهو أسلوب أمر خرج عن معناه الحقيقي إلى

([1]) التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٩/ ٢٧٥.

([2]) آية ١٧ من سورة الأحقاف.

([3]) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن: العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار علم الفوائد، ٧/ ٤١٢-٤١٤.

المعنى المجازي وهو النصح والإرشاد، والحث على الإيمان بالله وباليوم الآخر، وبحقيقة البعث والنشور.

قال تعالى:﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1]

إن أسلوب الأمر في الآية هو "فأتنا بما تعدنا"، وهو يدل على مدى عناد الكافرين وعدم تصديقهم بما وعدهم الله من عذاب شديد، وهم يطلبون من الرسول على سبيل التحدي بأن يأتي بالعذاب كما وعدهم إن كان صادقاً، وفي الآية التالية لهذه الآية ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾، جواب لذلك الطلب، حيث بيّن الرسول(ﷺ) أنه أُرسل إليهم للإنذار فقط، والعلم بميقات العذاب أمر غير معلوم لديه؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي قدر العذاب وهو الأعلم بوقته، والآية فيها أسلوب" استفهام تقرير وتوبيخ وتعجيز له فيما أنذره إياهم من العذاب العظيم على ترك إفراد الله بالعبادة، و(أتنا) استعجال منهم بحلول ما وعدهم به من العذاب"[2] ، وجاء أسلوب الأمر (أْتِنَا) في الآية لغرضٍ بلاغي، وهو التشكيك بقدرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) بالوفاء بما وعدهم من العذاب الذي سيحل بهم، في حال لم يستجيبوا لدعوته عليه السلام وتمسكوا بعبادة الأصنام.

([1]) آية ٢٢ من سورة الأحقاف.

([2]) البحر المحيط ٦٤/٨.

يقول رب العزة:﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾[1]

تخبرنا الآية بأن الجن استمعوا إلى القرآن الكريم، بكل وعيٍ وتركيز، وعندما سمعوا آياته ذهبوا إلى قومهم مسرعين؛ إنذاراً لهم ودعوة للإيمان بالله ورسوله، وجاء استخدام الفعل "ولوا" هنا دلالة على السرعة، كما أن الإنصات في الآية معناه الاستماع بانتباه وحذر لما هو آتٍ من كلام، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه "عندما حضر الجن مجلس الرسول(ﷺ)، وقت تلاوة القرآن قالوا لبعضهم اسكتوا لنستمع ما يُتلى ونتفهمه، فلما فرغ الرسول(ﷺ) من القرآن انصرفوا مسرعين إلى قومهم مخوفين لهم العذاب الذي سمعوه، والذي أعده الله تعالى لمن يكفر به ولا يصدق بكتابه"[2]، وفى الآية "أنصتوا" أسلوب أمر غرضه النصح والإرشاد، وزيادة الانتباه لقول الرسول(ﷺ)، وهو أمر موجه من الجن لقومهم.

قال تعالى:﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]

إن ما تلاه الرسول(ﷺ) على مسامع الجن من القرآن الكريم، فيه دعوة إلى دين الإسلام وإنذار من العذاب، فالذي "لا يدعو إلا إلى ربه، لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه، ولا هوى، وإنما يدعوكم إلى ربكم؛ ليثيبكم، ويزيل عنكم كل شر ومكروه، ولهذا قالوا:﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾، وإذا أجارهم من العذاب الأليم، فما ثَمّ بعد ذلك إلا النعيم، فهذا جزاء من

([1]) آية ٢٩ من سورة الأحقاف.

([2]) أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية، ط٦، ١٩٦٤م، ٦٢٠-٦٢١.

([3]) آية ٣١ من سورة الأحقاف.

أجاب داعى الله"[1]، وقد ذكر في الآية أسلوبا أمر هما "أجيبوا، آمنوا"، والغرض البلاغي الذي خرج عنه أسلوبا الأمر هو النصح والإرشاد والترغيب في الإيمان؛ لنيل الجنة والإجارة من عذاب النار.

قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[2]

يخبرنا الله عز وجل في الآية السابقة أن الكفار عند عرضهم على جهنم، يعترفون بذنوبهم ويتحققون من العذاب الذي أعده الله لهم وأنذرهم منه الأنبياء والمرسلون، ففي ذلك الموقف يعترف المشركون بذنبهم ويوقنون بأن العذاب حق، فالأمر في الآية للمشركين "ذوقوا" وهو على شاكلة الأمر في قوله تعالى:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[3]، والعذاب الذي أشارت إليه الآية لازم مستمر كما كان كفرهم بالله دائماً وصفة ملازمة لهم، وعطفاً على الآية الكريمة يُشار إلى أنه " في يوم القيامة يُوقف هؤلاء الكافرون المكذبون بالبعث والنشور على نار جهنم، ويُقال لهم على سبيل التقريع والتأنيب أليس هذا الذي ترونه من بعثٍ وحشرٍ وجزاءٍ على الأعمال ونار وقودها الناس والحجارة ..... حقاً ؟ وكنتم تكذبون به في الحياة الدنيا فيقولون: بلى وربنا إنه لحق، فيقال لهم: ذوقوا الآن العذاب في نار جهنم جزاء لكم على كفركم وتكذيبكم بالحق"[4]، ولقد تضمنت الآية أسلوب الأمر "فذوقوا"، وغرضه البلاغي الإهانة والتحقير لهؤلاء الكافرين المشركين المكذبين بكل ما أمروا به

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، السعودية، ط٢ ، ٢٠٠٢م، ٩٢٤.

([2]) آية ٣٤ من سورة الأحقاف.

([3]) آية ٤٩ من سورة الدخان.

([4]) أيسر التفاسير: د . أسعد محمود حومد، راجعه الشيخ محمد متولى الشعراوي وآخرون، ط٤، ٢٠٠٩م، ١٢٥٣/٣.

ثانياً: سورة محمد

قال تعالى:﴿ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]

يوجه الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة المؤمنين لقتال الكافرين، وضرب أعناقهم والظفر بهم، وإيقاعهم في الأسر، فإذا انتهت الحرب يكون بعد ذلك التعامل مع الأسرى إما بإطلاق سراحهم دون عوض، أو أن يتم أخذ الفداء، أما عن بيان جزاء هؤلاء المجاهدون، فذلك من خلال بيان العلاقة بين الآية الرابعة، والآية الخامسة، والآية السادسة من هذه السورة ويتمثل في قوله: "سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ"[2]، "وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ"[3]، فالله سبحانه وتعالى سيهدي المجاهدين، المؤمنين ويصلح حالهم وشأنهم، فإصلاح البال في الدين والدنيا وفى نعيم العقبى، ويدخلهم الجنة مبيناً لهم ما فيها من نعيم، وتأكيداً على هذا المعنى فإنه قد "أمر الله سبحانه بقتال الكفار فقال إذ لقيتم يا معاشر المؤمنين أهل دار الحرب وهم الكافرون، فاضربوا رقابهم واقتلوهم؛ لأن أكثر مواضع القتل ضرب العنق فإذا أثقلتموهم بالجراح وظفرتم بهم، فأحكموا وثاقهم في الأسر، فقد أمر الله سبحانه بقتلهم والإثخان فيهم ليذلوا، فإذا ذلوا بالقتل أسروا وكما قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4]، فإما أن تمنوا عليهم بعد أن تأسروهم فتطلقوهم بغير عوض، وإما أن تفدوهم فداء، كل ذلك حتى

([1]) آية ٤ من سورة محمد.

([2]) آية ٥ من سورة محمد.

([3]) آية ٦ من سورة محمد.

([4]) آية ٦٧ من سورة الأنفال.

تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم، بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الأديان، فإن كان الفرض هو زوال الكفر فقط، لأهلك الله سبحانه الكفار بما يشاء من أنواع الهلاك ولكن أراد مع ذلك أن يستحقوا الثواب، وذلك لا يحصل إلا بالتعبد وتحمل المشاق، والذين جاهدوا سواء قُتلوا أو لم يُقتلوا لن يُضيع الله أعمالهم ولن يُهلكها بل يقبلها ويجازيهم عليها ثواباً دائماً" [1]، ولقد ذكر في الآية أسلوب أمر جاء بصيغة المصدر النائب عن فعل الأمر (ضَربَ)، وهناك أسلوب أمر آخر بصيغة فعل الأمر هو "شدوا الوثاق"، وغرضه بيان مدى الذل والهوان الذي سيلحق بالكافرين في حال تم أسرهم خلال الحرب.

يقول الله عز وجل:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[2]

لقد تضمنت الآية السابقة أمراً من الله عز وجل لرسوله(ﷺ)، ولكن المراد منه الأمة جميعها كي تتبعه في كل شيء؛ لنعلم أنه لا إله إلا الله وهو يوم تقوم الساعة لا مكان لأحد ولا حكم لأحد إلا الله، ثم يأمر سبحانه وتعالى أن يستغفر لنفسه وللآخرين من المؤمنين والمؤمنات، دعوةً لهم للاستغفار لذنوبهم، وخص بذلك المؤمنين والمؤمنات إكراماً لهم، وتجدر الإشارة إلى أن هناك علاقة بين الآية الثامنة عشر من هذه السورة﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[3]، فهي تُبين حال المكذبين بآيات الله إذا جاءتهم الساعة فجأة، وقد سبقتها علامات وأشراط واضحة، فكيف لهم أن يتوبوا و يستغفروا بعد أن فات الأوان،

([1]) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م، ١٢٤/٩.

([2]) آية ١٩ من سورة محمد.

([3]) آية١٨ من سورة محمد.

والآية التاسعة عشر توضح العلم بوحدانية الله، ويقول الصافي: "إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين، فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية، وتكميل النفس بإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات، ولذنوبهم بالدعاء لهم والحرص على ما يستدعي غفرانهم، والله يعلم متقلبكم في الدنيا فلها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فإنها دار إقامتكم"[1]، والآية فيها أسلوبا أمر(اعلم)،(استغفر) حيث (اعلم) فعل أمر موجه للرسول(ﷺ) من الله(عز وجل) وهو أمر حقيقي فيه طلب الفعل على وجه الاستعلاء، ولم يخرج الأمر إلى معنى مجازي أو غرض بلاغي، والأصل فيه "اعلم يا محمد" بهذه الحقيقة أما أسلوب الأمر(استغفر) فالغرض البلاغي منه الدعاء والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات.

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[2]

تتضمن الآية السابقة توجيهاً قرآنياً للمؤمنين لطاعة الله وطاعة الرسول(ﷺ)، أما طاعة الله فتكون بتوحيده، وطاعة رسوله بتصديق نبوته ودعوته، والأمر هنا للمؤمنين، وفي الآية أيضاً نهيٌ لهم للبعد عن مبطلات الإيمان من كفر، ورياء، ونفاق، ومعاصٍ، وكبائر و"أطيعوا الله في الجهاد ولا تبطلوا حسناتكم بالرياء والسمعة، ويحتمل ولا تبطلوا أعمالكم بالارتداد والكفر بعد الإيمان وبالمن على الله، أو على الرسول في الإسلام، أو البطلان بالفواحش والكبائر، وجائز أن يكون قوله تعالى " ولا تبطلوا أعمالكم " ليكونوا أبداً على اليقظة والحذر؛ لئلا تبطل أعمالهم من حيث لا يشعرون كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ

([1]) تفسير الصافي: المولى مُحسن الملقب بالفيض الكاشاني، مكتبة الصد، طهران، ط ٣، ١٩٥٩، ٥/ ٢٨.

([2]) آية ٣٣ من سورة محمد.

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[1] "، والآية فيها أسلوب الأمر (أطيعوا) وهو تالٍ لأسلوب نداء، وكلاهما موجه للذين آمنوا، والغرض البلاغي من أسلوب الأمر هو النصح والإرشاد للمؤمنين بوجوب طاعة الله وطاعة الرسول، وتكرار فعل الأمر (أطيعوا) جاء للتأكيد على هذه الطاعة لأن طاعة الرسول(ﷺ) من طاعة الله عزّ وجل.

ثالثاً: سورة الفتح

يقول رب العزة:﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2]

يطلب المخلفون من الرسول(ﷺ) أن يستغفر لهم؛ لأنهم لم يتبعوه وساقوا له أعذاراً ليست حقيقية من قولهم، بأنهم ما أرادوا من ذلك إلا الحفاظ على أهلهم وأموالهم، وهو قولٌ جرى على ألسنتهم فقط، ولم يكن موافقاً لما أخفوه في قلوبهم، وفى ذلك نفاق، والله سبحانه وتعالى يطلب من رسوله الكريم أن يخبرهم بأن قضاء الله نافذٌ فيهم سواء أكان نفعاً أم ضراً، ولا أحد يملك منعه، ولقد "قعد الأعراب عن النبي وتخلفوا عنه وقالوا : لن يرجع محمد ولا أصحابه من هذه السفرة، ففضحهم الله عز وجل في هذه الآية، وأعلم رسوله بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم، "شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا" هذا اعتلال منهم عن تخلفهم، أي لم يكن لهم من يقوم بحفظ أموالهم وأهليهم غيرهم، وبدؤوا بذكر الأموال؛ لأنها بها قوام العيش، وعطف الأهل لأنهم كانوا يحافظون على حفظ

([1]) تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة: تصنيف أبى منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى السمرقندي الحنفي ، تحقيق فاطمة يوسف الخيمى، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ٤/ ٢٣٣٦.

([2]) آية ١١ من سورة الفتح.

الأهل أكثر من حفظ المال، ولما علموا أن ذلك التخلف عن الرسول كان معصية، سألوا أن يستغفر لهم، فقال لهم الرسول فمَن يمنعكم من قضاء الله إن أراد بكم ضرا من قبل أو هزيمة أو نفع من ظفر وغنيمة، أي الله المتصرف فيكم، وليس حفظكم لأموالكم وأهلكم"[1]، والآية فيها أسلوب أمر (استغفر) وهو فعل أمر موجه من المخلفين للرسول(ﷺ)، والغرض البلاغي منه الرجاء، أي رجاء المخلفين بالاستغفار لهم من قِبل رسول الله وتمنيهم ذلك، وفي الآية فعل أمر آخر (قل) وهو أمر من الله سبحانه وتعالى للرسول(ﷺ)؛ لإعلام المخلفين أن الله وحده هو الذي بيده نفعهم أو ضرهم، وهو أمر حقيقي من رب العزة إلى سيدنا محمد (ﷺ)، ولم يخرج إلى معنى بلاغي آخر.

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]

يطلب المنافقون من الرسول(ﷺ) والمؤمنين أن يتبعوهم لأخذ الغنائم معهم، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله الكريم ألا يسمح لهم بالخروج معه، فلم يصدق المنافقون أن الأمر من الله، وقالوا بأن منعهم جاء حسداً لهم من المشاركة في أخذ الغنائم، فيرد عليهم الله بأنهم لا يعرفون، ويفقهون بأمور الدنيا دون الدين، وعطفاً على ذلك "سيقول المخلفون، إنما لم يقل هنا (لك) لأن المخاطبين هم المؤمنون كلهم لا النبي وحده، قال المنافقون للمؤمنين دعونا نتبعكم إذا خرجتم لأخذ الغنائم، ولكن الرسول(ﷺ)منعهم؛ لأن الله أمره بأن لا يخرج إلى خيبر إلا أهل الحديبية، فهم يريدون تبديل كلام الله فقال الله لنبيه: قل لن تتبعونا فالله سبحانه قال ذلك مسبقاً، فسيقول المنافقون رداً

([1]) تفسير البحر المحيط ٨/ ٩٣.

([2]) آية ١٥ من سورة الفتح.

على النبي والمؤمنين بأن الله لم يأمركم به بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنيمة، فرد الله عليهم في ذكر سبب المنع هو عدم فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين"[1]، ولقد تضمنت الآية أسلوب الأمر (ذرونا) وهو فعل أمر من المنافقين للرسول(ﷺ) والمؤمنين، وخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، الغرض منه الترجي والتمني للخروج مع الرسول لأخذ الغنائم، وفعل الأمر الآخر في الآية(قل) وهو أمر حقيقي لطلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء، الأصل فيه (قل يا محمد) وهو أمر من الله عز وجل لرسوله (ﷺ).

رابعاً: سورة الحجرات

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بتقواه من خلال العمل بما أمرهم به والبعد عن نواهيه، إضافةً إلى عدم الحكم بأي شيء إلا بالرجوع للقرآن الكريم والحديث الشريف، فهما المرجعان الأساسيان في أمورنا كلها، ويقول المهايمي" ناداهم ليقبلوا إلى إصغاء خطابه وأبهمهم ثم فسرهم ، وأتى بالماضي (آمنوا) ليعلموا أن لهم التقديم في هذه الصفة، فلا بد لهم من التحفظ عليها لئلا ينصرم انصرام الماضي، لا تقدموا أنفسكم ولا غيركم قولاً أو حكماً على قول الله رسوله، وحكمها في الكتاب والسنة فتصيروا كالسائرين، (اتقوا الله) أي لا تخالفوا أوامره ونواهيه، ففيه تقديم لا هوية أنفسكم عليهما ولا يخفي عليه، (إن الله سميع عليم) لأقوالكم اللفظية والنفسية، عليم بما قد تم عليه

([1]) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ضبطه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ٦/ ١٤٧.

([2]) آية ١ من سورة الحجرات.

من أجله"[1]، والآية فيها أسلوب الأمر(اتقوا الله) وغرضه النصح والإرشاد للمؤمنين بألا يقعوا في المحظور من الأعمال التي نهى الله عنها، واتباع كتاب الله وسنه نبيه.

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[2]

أمر الله عز وجل الذين آمنوا بضرورة التحقق من صحة الأخبار عند سماعها، وخاصة إذا كان ناقل تلك الأخبار فاسقاً كاذباً، فليس كل ما يُسمع يُصدق، ووجهت الآية المؤمنين بضرورة التحقق والتحري من الأخبار قبل تصديقها، أو الأخذ بها حتى لا يندم المؤمن بعد ذلك عند وقوع الضرر على الآخرين.

وهذا أدبٌ عام للحفاظ على تماسك أفراد الأمة، واستئصال الخلافات بينهم، وفي ذات السياق يُشار إلى أن الآية تخاطب المؤمنين بالقول "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم أي خارج عن حدود وشريعة الله بأي خبر، فتثبتوا من صدقه، كراهة أن تصيبوا أي قوم بأذى، جاهلين حالهم، فتصيروا على ما فعلتم معهم بعد ظهور براءتهم مغتمين دائماً على وقوعه، متمنين أنه لم يقع منكم"[3]، والآية فيها أسلوب الأمر(تبينوا)، وهو أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين، وغرضه البلاغي النصح والإرشاد لهم باتباع أوامره والتحري من الأخبار قبل إذاعتها.

([1]) تفسير القرآن الكريم المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان: تصنيف علي المهايمى وبهامشه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للإمام أبي بكر السجستاني، مطبعة بولاق ، مصر، ط ٢، ١٩٨٣م، ٢/ ٢٨٧.

([2]) آية ٦ من سورة الحجرات.

([3])المنتخب في تفسير القرآن الكريم: لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة، دار الثقافة، الدوحة، ٧٦٣.

قال تعالى:﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1]

وجه الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة أمراً لولاة الأمر؛ للإصلاح بين المتقاتلين، وذلك بإسداء النصح لهم للرجوع إلى حكم الله عزّ وجل فيما اختلفوا فيه، حتى يأخذ كل ذي حقٍ حقه، فإن اقتتلت طائفتان من المؤمنين فعلى الجهة الداعية للصلح أن تصلح بينهما، رجوعاً إلى حكم الله حتى يتم الصلح، وفى حال خرجت طائفة منهما عن هذا الحكم ورجعت للقتال فعلى ولاة الأمر حينئذٍ مقاتلتها حتى تفيء إلى أمر الله، علماً بأن الصلح يجب أن يقوم على العدل، وعدم ظلم أيٍ من الطائفتين، ولقد تم استخدام الحرف(إن) للدلالة على التقليل والتوقع، فليس شرطاً وقوع القتال ولكن إن وقع فالأولى الإصلاح، ولزيادة التأكيد على العدل ذُكرت كلمة(أقسطوا) وكلمة(العدل)، فالعدل أساس كل شيء، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[2]، وإضافة إلى ما سبق فإنه "إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فعلى المسلمين أن يسعوا في الصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله، وإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها، وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحرروا في الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة

([1]) آية٩ من سورة الحجرات.

([2]) آية ٥٨ من سورة النساء.

حتي تخرج من الظلم وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، ثم أمر الله سبحانه المسلمين أن يعدلوا في كل أمورهم، بعد أمرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتتلتين، اعدلوا إن الله يحب العادلين، ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم بأحسن الجزاء"[1]، والأمر في الآية "أصلحوا، قاتلوا، أقسطوا"، كلها أساليب أمر غرضها البلاغي النصح والإرشاد لولاة الأمر، حيث بيّن الله سبحانه وتعالى لهم كيفية الصلح، وما هى شروطه بالرجوع إلى حكم الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]

لقد حملت الآية السابقة دعوة إلى الصلح بين المتخاصمين، وذُكرت كلمة(أخويكم) بصيغة المثنى؛ لأن الخصام يكون أقله بين اثنين مع التأكيد على رابطة الأخوة التي تجمع بين المؤمنين استناداً على الدين، وهى أخوة أقوى من أخوة الدم والنسب، وقوام الصلح بينهم هو تقوى الله والخوف منه بالتزام الحق، فلا يكون انحيازاً لأحدٍ دون الآخر، أو لفئةٍ على حساب الأخرى، ومن الملاحظ تكرار(إخوة)، (أخويكم) بهدف التأكيد على متانة الأخوة في الدين وقوتها، كما تم حصرها بين المؤمنين؛ لأنه لا أخوة بين المؤمن والكافر، ويقول مخلوف" إنما المؤمنون يجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، كما يجمع الأخوة أصل واحد هو النسب، وكما أن أخوة النسب داعية إلى التواصل والتراحم والتناصر في دفع الشر، وجلب الخير، كذلك الأخوة في الدين تدعو إلى ذلك، بل هي أدعى إليه؛ لأنها في الله ولله عز وجل"[3]

([1]) نيل المرام في تفسير آيات الأحكام: تصنيف محمد صديق حسن خان ، المطبعة الرحمانية ، مصر، ٣١٧-٣١٨.

([2]) آية ١٠ من سورة الحجرات.

([3]) صفوة البيان لمعاني القرآن: تفسير الشيخ حسنين محمد مخلوف، ط١، القرن ١٥هـ، ٦٧١.

والآية فيها أسلوبا أمر هما(أصلحوا)،(اتقوا)، والغرض البلاغي منهما النصح والإرشاد للمؤمنين للإصلاح بين المتخاصمين؛ لزيادة ترابطهم وتمكين العلاقة الأخوية بينهم.

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1]

تتضمن الآية السابقة أمراً للمؤمنين بضرورة اجتناب الظن السيئ، وتدعو في ذات السياق إلى ضرورة اجتناب الكثير من الظن؛ لأن بعضه يكون في غير موضعه، ولقد جاء استخدام كلمة(بعض) في الآية للدلالة على أن الظن ليس كله سيئاً، وجاء استخدام كلمة(إن) للتأكيد على عاقبة هذا الظن السيئ والذي صنفه القرآن على أنه إثم.

وفي بيان إعجاز القرآن وكمال آياته وترابطها، يُلاحظ من خلال الآية كيفية ترابط الأفعال وتتابعها، فالإنسان الذي يظن الظن السيئ يبدأ بالتجسس على من وقع عليه الظن ويتتبع أخباره، ويباشر في كشف عوراته وسوءاته، وتذكر الآية الكريمة في نهايتها المخرج من كل ذلك بلزوم تقوى الله في قوله(اتقوا الله)، ولقد تكرر أمر التقوى هذا في أكثر من موضع في سورة الحجرات، وخاصة في الآيات التي تتضمن نهياً للمؤمنين عن بعض الأمور التي يريد الله من المؤمنين الإقلاع عنها مثل قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[2] وقوله: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[3]، وعطفاً على الآية فإنه قد "نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن شراً، فالظن ظنان: أحدهما إثم، وهو أن تظن

([1]) آية ١٢ من سورة الحجرات.

([2]) آية ١ من سورة الحجرات.

([3]) آية ١٠ من سورة الحجرات.

وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم، كذلك نهى عن تتبع عورات المؤمنين، خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله، وحرم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشيء"[1]، وفي الآية أسلوبا أمر "اجتنبوا"، "اتقوا" وغرضهما البلاغي النصح والإرشاد للمؤمنين؛ لاتباع أوامر الله والبعد عن نواهيه.

قال تعالى:﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]

يُخبر الله(عز وجل) رسوله الكريم بأن الأعراب الذين أعلنوا عن إيمانهم، لم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد، وفى الآية يقول الله سبحانه وتعالى لهم، (لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا)؛ لأنهم لم يصلوا إلى معنى الإيمان الحقيقي، حيث إن الإسلام هو الكلمة، والإيمان هو العمل بهذه الكلمة، وعطفاً على ما سبق فقد قيل "هؤلاء مسلمون وليسوا بمؤمنين؛ لأنهم ليسوا ممن باشر الإيمان قلبه، فذاق حلاوته وطعمه، وهذا حال أكثر المنتسبين إلى الإسلام، وليس هؤلاء كفاراً؛ فإنه سبحانه أثبت لهم الإسلام بقوله "ولكن قولوا أسلمنا " ولم يرد: قولوا بألسنتكم من غير موطأة القلب فإنه فرق بين قولهم "آمنا"، وقولهم "أسلمنا " ولكن لما لم يذوقوا طعم الإيمان، قال: لم تؤمنوا ووعدهم سبحانه وتعالى – مع ذلك – على طاعتهم أن لا ينقصهم من أجور أعمالهم شيئاً"[3]، ويُشير القرآن الكريم إلى المؤمنين حقاً في الآية التالية لهذه الآية، حيث يقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا

([1]) توفيق الرحمن في دروس القرآن: الشيخ فيصل بن عبد العزيز ، حققه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن ابراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة، السعودية، ط١، ١٩٩٦م، ١٣٥/٤.

([2]) آية ١٤ من سورة الحجرات.

([3]) الضوء المنير: جمعه علي الصالحي من كتب الإمام ابن قيم الجوزية ، مؤسسة النور، عنيزة ، ٥/ ٤٢٦-٤٢٧.

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1]، فالصادقون في إيمانهم هم من آمنوا بالله ورسوله، ولم يدخل الشك في قلوبهم، وقدموا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، فالآية الخامسة عشرة هي متممة لمعنى الآية التي تسبقها، وموضحة ومبينة لحقيقة الإيمان.

ولقد تضمنت الآية فعل أمر حقيقي(قل)، من الله عز وجل لرسوله(ﷺ)، وهو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء، (وقولوا) أسلوب أمر من الله عز وجل للأعراب الذين يدّعون الإيمان وهم ليسوا بمؤمنين، وكلمة(قولوا) لا تتوقف عند حد التلفظ لأن اللفظ يجب أن يصدر من المنبع وهو القلب، فالقول يكون متبوعاً بالعمل، وغرضه البلاغي الاستبعاد حيث يستبعد الله أن يكون هؤلاء الأعراب مؤمنون.

خامساً: سورة ق

قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾[2]

يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين ذُكرت صفاتهم في الآيات السابقة لهذه الآية، بدخول الجنة سالمين من زوال النعم وحلول النقم، وقد سلموا من العذاب، وأنعم الله عليهم بالخلود فيها لا يموتون أبداً، لهم فيها ما يشاءون وما يطلبون، وصفات هؤلاء المتقين موضحة في الآيات ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[3] ،﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[4] ، فالجنة لكل

([1]) آية ١٥ من سورة الحجرات.

([2]) آية ٣٤ من سورة ق.

([3]) آية ٣٢ من سورة ق.

([4]) آية ٣٤ من سورة ق.

تائب حافظ لحدود الله ، يخاف عقابه وهو غائب عن الأعين، مُقبلُ على طاعته بقلبٍ مُحب، هذا حال المتقين الذين يُجزون بالخلود في الجنة، لهم فيها ما يريدون ويستحقون، أو أكثر مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، و"يقال لمن أقبل إلى طاعة الله عارفاً لحرمته، موالياً له متواضعاً لحلاله، تاركاً لهدى نفسه، ادخلوا الجنة بسلامة من العذاب، وسلام الله وملائكته عليهم، وقيل السلامة من العذاب وسلام الله وملائكته عليهم، وقيل السلامة من زوال النعيم وحلول النقم، ذلك يوم الزيادة لهم في النعم مما لم يخطر ببالهم، وهو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى بلا كيف"[1]، وأسلوب الأمر(ادخلوها) موجه من الله عزّ وجل للمتقين، وغرضه البلاغي الترغيب لعمل ما يُرضي الله، والإيمان به لنيل الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ"[2]

لقد أهلك الله قبل كفار قريش أمماً وقروناً وجماعات، كانوا أكثر قوة من كفار قريش ولم يجدوا لهم مهرباً من الله، وعوقبوا بالعذاب الشديد في نار جهنم، وتأكيداً على ما سبق، يُبين الله لنا في غير موضع أنه "كثيراً ما أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين من قريش، ومن وافقهم من أمم وجماعات، كانوا أكثر منهم، وأشد قوة، وآثاراً في الأرض، كعاد وثمود وقوم تُبع وغيرهم، وقد أثروا في البلاد، فساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب، أكثر مما طفتم بها، فهل لهم من مفر أو مهرب يهربون إليه، يتخلصون به من العذاب، ومن قضاء الله وقدره، وهل نفعهم ما جمعوه من أموال، وردّ عنهم عذاب الله لمّا جاءهم لتكذيبهم الرسل، فأنتم أيضاً لا مفر لكم ولا محيد، ولا مناص، ولا

([1]) الكشف والبيان المعروف تفسير الثعلبي: أبو اسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي، دراسة وتحقيق أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م، ١٠٥/٩.

([2]) آية ٣٦ من سورة ق.

مهرب"[1]، وفي الآية الفعل(فنَقَبوا) وهو فعل ماضٍ، لكن هناك قراءة ثانية للفعل على أنه فعل أمر والتنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب، والأمر في هذه الحالة للإباحة[2]، وبناءً على تلك القراءة يكون الفعل(فنقِبوا) أمر من الله عز وجل لكفار قريش بالتفتيش والبحث في الأرض؛ ليعلمهم عجزهم وفشلهم في الفرار من الموت، ومن عذاب الله مهما بحثوا وفتشوا في البلاد، فالغرض البلاغي من الأسلوب بيان عجزهم وتهديدهم بالعذاب، وقد قُرئت (فنقبوا) بتحفيف القاف وبتشديدها، فالتخفيف دل على التقليل، أما التشديد فدل على الكثرة أي فعلوه مرة بعد مرة[3].

([1]) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج١٣/ ٦٤٨.

([2]) يُنظر: الأساس في التفسير: سعيد حوى، دار السلام ، ط١، ١٩٨٥م، ٦٣١/٩.

([3]) يُنظر: الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها١/ ١٢٠٤.

جدول يوضح أساليب الأمر في جزء الأحقاف

الآية	رقمها	الشاهد
سورة الأحقاف		
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	٤	أروني، ائتوني
﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	١٥	أوزعني، أصلح
﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	١٧	آمن
﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	٢٢	فأتنا
﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾	٢٩	أنصتوا
﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٣١	أجيبوا ، آمنوا
﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	٣٤	فذوقوا

سورة محمد		
﴿ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾	٤	ضرب، فشدوا
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾	١٩	استغفر
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾	٣٣	أطيعوا
سورة الفتح		
﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	١١	استغفر
﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	١٥	ذرونا
سورة الحجرات		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	١	اتقوا
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾	٦	فتبينوا
﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى	٩	فأصلحوا

الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾		فقاتلوا، فأصلحوا أقسطوا
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٠	فأصلحوا، اتقوا
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾	١٢	اجتنبوا، اتقوا
﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٤	قولوا
سورة ق		
﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾	٣٤	ادخلوها
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾	٣٦	فنقبوا

جدول يوضح عدد أساليب الأمر في كل سورة

م	اسم السورة	عدد أساليب الأمر
١	الأحقاف	١٠
٢	محمد	٤
٣	الفتح	٢
٤	الحجرات	١١
٥	ق	٢

يُلاحظ في الجدول أعلاه أن أسلوب الأمر أكثر وروداً في سورة الحجرات، وبعد تناوله سابقاً، تبين وروده بهدف النصح والإرشاد، والترغيب، والترهيب، والتحقير، بسبب ما اشتملت عليه سورة الحجرات من سلوكيات وجب اتباعها.

الفصل الخامس

أساليب الإنشاء غير الطلبي في جزء الأحقاف

- **تعريف الإنشاء غير الطلبي.**
- **أسلوب القسم.**
- **أسلوب الرجاء.**
- **أسلوب الذم.**

وُظفت أساليب الإنشاء غير الطلبي في آيات القرآن الكريم، فكل من صيغ المدح، والذم، والقسم، والرجاء، والتعجب كان لها اعتبارات بلاغية.

وقد عَرّف البلاغيون الإنشاء غير الطلبي على أنه "ما لا يستدعي مطلوباً وقت الطلب"[1]، وتضمن الإنشاء غير الطلبي أساليب الرجاء، والتعجب، والقسم، وأفعال المدح، والذم، وصيغ العقود.

إن البلاغيين لم يعطوا الاهتمام المناسب للأساليب الإنشائية غير الطلبية، فقد وضعوا جُل اهتماماتهم للأساليب الإنشائية الطلبية وذلك؛ لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها؛ حيث أن أكثرها في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء.

والإنشاء غير الطلبي كما الخبر لا يحتمل الصدق ولا الكذب، وآراء البلاغيين في هذا القسم من الإنشاء متوافقة مع عدم اهتمامهم بهذه الأساليب، ويقول الدكتور أحمد مطلوب "لا يهتم البلاغيون بهذه الأساليب الإنشائية؛ لقلة الأغراض المتعلقة بها؛ ولأن معظمها أخبار نُقلت من معانيها الأصلية، أما الإنشاء الذي يُعنون به فهو الطلبي؛ لما فيه من تفنن في القول لخروجه عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض مجازية تُفهم من سياق الكلام"[2]

وكذلك ما قاله الهاشمي" أنواع الإنشاء غير الطلبي كثيرة، لكنها ليست من مباحث علم المعاني وهى في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، وإنما المبحوث عنه في علم المعاني هو"

([1]) البلاغة والتطبيق: أحمد مطلوب وحسن البصير، ط٢، ١٩٩٩م،١٢١.

([2]) أساليب بلاغية ١١٠.

الإنشاء الطلبي" لما يمتاز به من لطائف بلاغية"[1]، فالإنشاء الطلبي فيه من المزايا واللطائف ما ليس في الإنشاء غير الطلبي فهي أخبار في الأصل نُقلت إلى معنى الإنشاء"[2]

وبناءً على ما سبق ذكره، فإن الأساليب الإنشائية غير الطلبية، وما تشمله من رجاء، وقسم وذم، ومدح، وتعجب، لا تحمل بين طياتها خروجاً عن معانيها البلاغية إلى معاني أخرى، فالرجاء معناه البلاغي في الآيات القرآنية هو الرجاء فحسب لا يخرج إلى معنى آخر، وكذلك القسم، والمدح، والذم، والتعجب، بعكس الأساليب الإنشائية الطلبية التي تخرج إلى معانٍ بلاغية، بحسب السياق مثل التعظيم، والإنكار، والدعاء، والتمني وغيرها.

ومع أن الإنشاء غير الطلبي لم يلق اهتماماً مناسباً، يجدر بي ألا أقفز عنه في بحثي؛ لأنه قسم مهم له مدلوله وبيانه، من خلال السياقات الكلامية والآيات القرآنية، وإن كانت قليلة في جزء الأحقاف موضوع الدراسة، إلا أنه وجب عليّ دراسته وبيانه للقارئ.

وتناول هذا الفصل أقسام الإنشاء غير الطلبي في جزء الأحقاف بدءاً بأسلوب القسم.

([1]) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصيرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٩م،٧٠.

([2]) يُنظر: علوم البلاغة البيان والبديع والمعاني: أحمد مصطفي المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م، ٦١.

أسلوب القسم في جزء الأحقاف

إن أسلوب القسم من أساليب الإنشاء غير الطلبي التي لا تستدعي مطلوباً وقت الطلب. ويُعرف القسم لغة بأنه: "مصدر قسم الشيء يقسمه قسماً فانقسم، والموضع مَقسم مثال مَجلس، وقسمه: جزأه وهى القسمة والقِسم بالكسر: النصيب والحظ"[١]، وهو "مصدر قَسَم يَقسم قسماً، والقسمة: مصدر الاقتسام، ويقال أيضاً قسم بينهم قِسمة والقَسَم: اليمين وتجمع على أقسام، والفعل: أقسم"[٢]

وأسلوب القسم هو أحد الأساليب المؤكدة للكلام، يقول سيبويه:" اعلم أن القسم توكيد لكلامك"[٣]، وقد عرف ابن جني القسم مؤكداً على أنه "جملة إنشائية يؤكد بها جملة أخرى"[٤]، فمن خلال ما سبق من تعريفات لأسلوب القسم نلاحظ أن فائدة القسم هو التوكيد؛ لإزالة الشك عن المخاطب.

وللقسم حروف تستعمل لتأكيد الكلام وهي "الباء، التاء، الواو، لام الجر"، وأسماء مثل" لعمرك، ايمن الله، علىّ عهد الله"، وأفعال مثل" أحلِف، حَلَفَ، أقسم، قَسَم".[٥]

---

(١) لسان العرب٤٧٨/١٢.

(٢) كتاب العين: تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ٣٨٩/٣.

(٣) الكتاب كتاب سيبويه١٠٤/٣.

(٤) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠م،٤٧/١٠.

(٥) يُنظر: الإيضاح العضدي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي أبو علي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، ط١، ١٩٦٩م، ٢٦٣.

ولقد ورد أسلوب القسم في جزء الأحقاف في أربعة مواضع، منها ما كان جلياً واضحاً، ومنها ما كان خفياً، ولكنه ظهر من خلال جواب القسم لهذه الآيات، وهذا ما سيتم توضيحه في هذا المبحث.

أولاً: سورة الأحقاف.

يقول الله تعالى:﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"[1]

إن القسم في هذه الآية جاء باسم الرب مضافاً إلى ضمير المتكلمين(نا)، والمقسم عليه "أليس هذا بالحق" وهو إقرار بصدق ما يسألون عنه في كل موقف، أما المقسم به هو الله عز وجل، وقد جاء القسم إجابة للسؤال" أليس هذا بالحق" فيقول الكافرون (بلى وربنا) وهو القسم؛ لتأكيد الاعتراف، ويقول البقاعي" وما كفاهم البدار إلى تكذيب أنفسهم حتى أقسموا عليه؛ لأن حالهم كان مباعداً للإقرار، وذكروا صفة الإحسان زيادة في الخضوع والإذعان"[2]، وذكر أبو السعود بأنه قد" أُكد جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا، وأنى لهم ذلك"[3]، ولأن عدم الإقرار بحقيقة العذاب والبعث والنشور كان ديدنهم، اقتضى وجوب ذلك القسم، وفي هذا القسم دليل على الندم حيال ما ارتكبوه في الدنيا، ويقول ابن عاشور" إنما

([1]) آية ٣٤ من سورة الأحقاف.

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٤م، ١٨٩/١٨.

([3]) تفسير أبو السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم٩٠/٨، يُنظر معارج التفكر: ٢٠٧/١٣.

أقسموا على كلامهم مقسم "ربّنا" قسماً مستعملاً في الندامة والتغليط لأنفسهم، وجعلوا المقسم به بعنوان الرب تحنُّناً وتخضّعاً"[1]

وكما هو ملاحظ فإن هناك تناسقاً بين عناصر القسم في سياق هذه الآية، فلما كان المقصد والمرمى لهذه السورة، هو إثبات البعث من خلال إثبات خصائص الربوبية لله عز وجل، ونفيها عمن سواه، ذُكر في الآية السابقة لآية القسم قوله تعالى "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" وهذه الآية تثبت حقيقة البعث والنشور، وتؤكد بأن خالق السموات والأرض هو المُحي للموتى، وفي ذلك إشارة على مجيء عناصر القسم متسقة في السياق، فالمقسم به (الرب)، والمقسم عليه (البعث والحساب والجزاء)، والمقسم بهذا القسم هم (الكافرون)، الذين كفروا في البداية ولم يعترفوا أو يؤمنوا بحقيقة البعث أو الجزاء الذي سيلقونه بسبب كفرهم، ولقد أقسموا بعد ذلك على اعترافهم بالبعث من شدة ما رأوا من عذاب عندما عرضوا على النار.

ثانياً: سورة محمد

قال تعالى:﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[2]

لما حسب المنافقون أن الله عز وجل، لن يستطيع إبراز وإخراج ما يخفون في صدورهم من حقد وعداوة للرسول(ﷺ)، وجه الله سبحانه وتعالى خطاب للرسول(ﷺ)، أنه لو أراد عز وجل لجعل

([1]) تفسير التحرير والتنوير ٢٦/٦٦.

([2]) آية ٣٠ من سورة محمد.

لهم دلائل يُعرفون بها أي ليعرفهم رسولنا الكريم بالعلامات التي يسمهم الله بها، فاللام في هذه الآية "لتعرفنهم" واقعة في جواب قسم محذوف، دلت عليه اللام ويقول الزمخشري"..... واللام في "ولتعرفنهم" فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف"[1]، والنون جاءت مؤكدة مع لام القسم.

وعطفاً على ما سبق فإن الآية تشتمل على قسم محذوف دلت عليه اللام في(لتعرفنهم) والتقدير (والله لتعرفنهم)، وهو قسم من الله عز وجل موجه للرسول(ﷺ)؛ لتأكيد على معرفة المنافقين من خلال سمات يعرفهم بها الرسول(ﷺ)؛ تطميناً للرسول(ﷺ) وشداً من أزره.

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[2]

إن القسم في هذه الآية مماثل للقسم في الآية السابقة من السورة نفسها، كما تم شرحه سابقاً، لنبلونكم اللام واقعة مع النون في جواب قسم محذوف، فالتقدير(والله لنبلونكم) وقد عُرف القسم من خلال اللام والنون في جوابه، وهو قسم من الله عز وجل، للتأكيد على وقوع الابتلاء كأسلوب للتمحيص حتى يعلم الله الصابر على مشاق الجهاد ليتحقق له الجزاء[3]

([1]) نكت الأعراب في غريب إعراب القرآن الكريم: محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري، تقديم وتحقيق محمد أبو الفتوح شريف، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٥م، ٣٤١، يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور١٨/٢٥١، وينظر تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم٨/١٠١.

([2]) آية ٣١ من سورة محمد.

([3]) يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه ٩/٢٢٥.

ثالثاً: سورة ق

قال تعالى:﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[1]

يُقسم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بالقرآن المجيد؛ لإثبات أن النبي (ﷺ) قد بُعث للكافرين؛ لينذرهم من العذاب، والقسم هنا بالقرآن المجيد، وقد خص بالمجيد، فقال الزمخشري" المجيد: ذو المجد والشرف على غيره من الكتب، ومن أحاط علماً بمعانيه وعمل بما فيه: مجد عند الله وعند الناس، وهو بسبب من الله المجيد، فجاز اتصافه بصفته"[2] ، أما المقسم عليه فقد اختلفت الآراء في تعيينه، فقد ذكر الزجاج والفراء أن جواب القسم محذوف ودل عليه قوله:﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**﴾[3]، فالتقدير (والقرآن المجيد لتبعثن)[4]، وقيل تقديره"..... جواب القسم محذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتنذر به الناس" [5] ، وهناك مَن عدّ جواب القسم مذكوراً وهو ما قبل القسم "ق" فقيل" إن ما قبل القسم يقوم مقام الجواب وإن معنى "ق" قُضى الأمر والقرآن المجيد، "فقضي الأمر هو الجواب ودلت "ق" على ذلك، وقيل "ق" اسم الجبل فتقديره: هو "ق" والقرآن المجيد والجملة تسد مسد جواب القسم"[6]

وترى الباحثة أن جواب القسم في هذه الآية هو مضمون الكلام بعد القسم وليس قبله، فهو متضمن المعني الإجمالي للسورة من إثبات للنبوة، وإثبات لحقيقة البعث وإنذار الرسول(صلى الله

---

(1) آية ١ من سورة ق.

(2) الكشاف٥/٥٩١.

(3) آية ٣ من سورة ق.

(4) يُنظر: معاني القرآن للفراء٣/٧٥.، يُنظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج٥/٤١.

(5) تفسير أبو السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم٨/١٢٥.

(6) مشكل إعراب القرآن الكريم: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. حاتم صالح الضامين، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٤م، القسم الثاني، ٦٨٢.

عليه وسلم) للكافرين، وهذا ما تؤكده التراكيب القرآنية دلالة على قوة تعجب هؤلاء الكافرين من رسول الله لكونه منهم، وينذرهم بالبعث، والتناسب بين المقسم به والمقسم عليه تحقق "في القسم بالقرآن ووصفه بالمجيد، واقترانه بالحروف المقطعة، تمجيداً للقرآن وتعظيماً لشأنه، وفى المقسم عليه تعريض بسلوك الكافرين وذم لموقفهم الذي لم يهدهم إليه مقتضى مجد القرآن وعظمته، بقدر ما هداهم إليه حسدهم واستكبارهم"[1].

(1) أسلوب القسم في القرآن الكريم "دراسة بلاغية": علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩١م،٢/٤٢٥.

أسلوب الرجاء

يُعد أسلوب الرجاء من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، ويُعرف لغةً: "الرجاء من الأمل ممدود، ويقال(رجاه) من باب عدا،(ورجاءً) و(رجاوةً) أيضاً، و(ترجاه) و(ارتجاه) و(رجاه ترجية) كله بمعنى الرجاء، وقد يكون (الرجو) و(الرجاء) بمعنى الخوف"[١]

وقد عُرف "(رجوته) أي أرجوه رجواً، الاسم الرجاء بالمد ورجيته أرجيه، ويستعمل بمعنى الخوف؛ لأن الراجي يخاف أن لا يدرك ما يترجاه، والرجاء مقصور الناحية من البئر وغيرها، والجمع أرجاء"[٢] ، أما اصطلاحاً فهو" طلب حصول أمر مرغوب قريب الوقوع"[٣]، فالرجاء يكون مع الأمر الممكن حصوله، وهو أمر محبوب مرجو حصوله بالجهد والبذل وحسن التوكل على الله عز وجل. وقد خُصص حرف (لعل) كأداة لأسلوب الرجاء، ومن الأفعال التي تفيد الرجاء "عسى" و "حرى" و" اخلولق"، وهى تسمى أفعال الرجاء.

ولقد ورد أسلوب الرجاء في جزء الأحقاف في ثلاثة مواضع هى على النحو التالي:

---

(١) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان،١٩٨٦م، ١٠٠.

(٢) المصباح المنير: أحمد بن علي الفيومي المقري، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م، ٨٤.

(٣) أساليب بلاغية الفصاحة – البلاغة– المعاني١٠٩.

أولاً: سورة الحجرات

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]

إن أسلوب الرجاء في هذه الآية جاء بحرف الرجاء "لعل"، فالترجي هنا من المخاطبين بالرحمة لهم من الله عز وجل، فهو طلب لأمر محبوب لديهم ممكن الحصول والوقوع، في حال سماعهم وتنفيذهم لأمر الله، حيث الإصلاح بين المتخاصمين وتقوى الله، ويقول القنوجي: "اتقوا الله في كل أموركم لعلكم ترحمون بسبب التقوى، والترجي باعتبار المخاطبين أي راجين أن يرحموا، أو لعل من الله في هذا المقام إطماع من الكريم الرحيم، إذ لإطماع فعل ما يطمع فيه لا محالة"[2]، والأسلوب الإنشائي غير الطلبي في هذه الآية كما وضحت سابقاً هو أسلوب الرجاء، وأداته "لعل"، التي تفيد وقوع الشيء، فالرحمة واقعة من الله عز وجل لعباده المتقين.

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3]

لقد ذُكر في الآية أسلوب الرجاء وفعله "عسى"، وهو تعليل للنهي الوارد في الآية من عدم السخرية، واللمز، والتنابز بين المؤمنين، وعطفاً على ما سبق فإن" المعنى وجوب أن يعتقد كل

([1]) آية ١٠ من سورة الحجرات.

([2]) فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري، راجعه عبد الله ابراهيم الأنصاري، المكتبة العصيرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٢م، ١٤٢/١٣، يُنظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٣١٢/٢٧.

([3]) آية ١١ من سورة الحجرات.

أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيراً من الساخر؛ لأن الناس لا يطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات، فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذ رآه رث الحال، فلعله أخلص ضميراً وأنقى قلباً ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله"[1]، وذلك رجاءً من الله عز وجل من أن يكون المسخور منهم خيراً عند الله من الساخرين، وتكرار "عسى" للتأكيد والقطع، أي انقطعوا عن السخرية.

ثانياً: سورة محمد

قال تعالى:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[2]

لقد اختلف بعض العلماء في تفسير(عسى) في الآية، فمنهم من ذكر(عسى) بمعنى (لعل) للترجي، ومنهم من ذكر أنها بمعنى التوقع[3]، حيث ذكر الزمخشري" عسى في هذه الآية معناه التوقع، فالمعنى في هذه الآية هل يتوقع منكم الإفساد، فإن قلت: فكيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا، وهو عالم بما كان وبما يكون؟ قلت: معناه: أنكم لما عهد منكم أحقاء، بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان: يا هؤلاء ما ترون؟ هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد، أن تفسدوا في الأرض تناحراً على المُلك وتهالكاً على الدنيا"[4] ونقل الكلام في هذه الآية من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات زيادة

([1]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل٥/٥٧٥.

([2]) آية ٢٢ من سورة محمد.

([3]) يُنظر معاني الفراء٣/٦٣، يُنظر معاني القرآن وإعرابه٥/١٣.

([4]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل٥/٥٢٥.

في التأكيد، فالأسلوب الإنشائي في الآية غير طلبي يحمل معنى الرجاء أو التوقع كما تبين سابقاً، وفعله "عسى"، ويحمل في ثناياه معنى التحذير.

أسلوب الذم

يُعد أسلوب الذم من أساليب الإنشاء غير الطلبية، ويعرف لغة بأنه:" نقيض المدح، ذمه يذمه ذماً ومذمة، فهو مذموم وذمٌ، وأذمه: وجده ذميماً مذموماً، وأذم بهم: تركهم مذمومين في الناس"[١]، ومن ألفاظ الذم الواردة في جزء الأحقاف "بئس"، وهو فعل ماضٍ جامدٍ غير متصرف؛ لأنه أزيل عن موضعه ونقل إلى الذم فشابه الحروف فلم يتصرف[٢]

ولقد ورد أسلوب الذم في جزء الأحقاف في موضعٍ واحد فقط في سورة الحجرات.

يقول رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣]

المنهيات التي وردت في الآية السابقة للآية الحادية عشرة هى الظلم والفسوق، ولا يُزيل هذا الظلم والفسوق إلا التوبة، والمعنى في هذه الآية هو ذم أن يذُكر أحد بالفسوق بعد إيمانه، والذم هنا جاء للتحذير من ذكر الناس بالأسماء المذمومة، وقد ذكر ابن عاشور" وإيثار لفظ الاسم هنا من الرشاقة بمكان؛ لأن السياق تحذير من ذكر الناس بالأسماء الذميمة إذ الألقاب أسماء، فكان اختيار لفظ الاسم للفسوق مشاكلة معنوية"[٤]، فالإيمان لا يناسبه الفسوق والظلم، وقد وصف الله الذين لم يتوبوا بأنهم ظالمون؛" لأنه ظلم الناس بالاعتداء عليهم، وظلم نفسه بأن رضى لها عذاب

---

(١) لسان العرب ٢٢٠/١٢.

(٢) يُنظر: الإيضاح العضدي ٨١، يُنظر: مختار الصحاح ١٦، يُنظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠١م،١٠٠.

(٣) آية ١١ من سورة الحجرات.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٢٥٠/٢٦، يُنظر: تفسير البحر المحيط ١١٣/٨.

الآخرة مع التمكن من الإقلاع عن ذلك، فكان ظلمه شديداً جداً"[1]، ويُلاحظ توسط اسم الإشارة في الآية بين "مَن لم يتب" و" الظالمون" وذلك لزيادة تمييزهم تفظيعاً لحالهم وللتنبيه، بل إنهم استحقوا قصر الظلم عليهم لأجل ما ذكر من الأوصاف قبل اسم الإشارة"[2]

وأسلوب الذم في الآية جاء ذماً من الله عز وجل لهؤلاء الظالمين لأنفسهم وللناس، وفعل الذم فيها هو "بئس".

([1]) تفسير التحرير والتنوير ٢٦/٢٥٠.

([2]) المرجع السابق٢٥٠.

جدول يوضح أساليب الإنشاء غير الطلبي في جزء الأحقاف

أسلوب القسم		
الآية	**الرقم**	**الشاهد**
سورة الأحقاف		
﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	٣٤	ربّنا
سورة محمد		
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾	٣٠	لَتَعْرِفَنَّهُمْ
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾	٣١	وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ
سورة ق		
﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾	١	ق
أسلوب الرجاء		
سورة الحجرات		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"	١٠	لَعَلَّكُمْ
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	١١	عَسَى

سورة محمد		
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾	٢٢	عَسَيْتُمْ
أسلوب الذم		
سورة الحجرات		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	١١	بِئْسَ

جدول يوضح عدد أساليب الإنشاء غير الطلبي في كل سورة

م	اسم السورة	عدد الأساليب	نوع الأسلوب
١	الأحقاف	١	قسم
٢	محمد	٢	
٣	ق	١	
٤	الحجرات	٢	رجاء
٥	محمد	١	
٦	الحجرات	١	ذم

وبالنظر إلى الجدول أعلاه، يتبين لنا أن أكثر الأساليب الإنشائية غير الطلبية، هو أسلوب القسم فقد استخدم من قِبل الله(عز وجل) للتأكيد على حقائق وردت في سور الجزء مثل حقيقة البعث

والنشور، وحقيقة السمات التي يُعرف بها المنافقون وغيرها من الحقائق والثوابت، أما أسلوب الذم كان الأقل وروداً؛ بسبب ما حملته سورة الحجرات من سلوكيات وجب الابتعاد عنها، فجاء الأسلوب للتنفير منها وبيان بشاعتها، وذم صاحبها.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً أن أنعم عليّ من فضله، ورزقني من الأسباب ما أمكنني من إتمام هذا البحث المتواضع، وأصلي وأسلم على رسوله وخاتم أنبيائه سيدنا محمد(ﷺ)، وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد، فإنه قد وقع بحثي هذا في خمسة فصول، سبقها التمهيد والذي تم فيه تعريف الأسلوب وأنواعه، ثم تم بعد ذلك تخصيص الحديث في فصول البحث الخمسة عن الأساليب الإنشائية بنوعيها، الطلبية وغير الطلبية، مع تسليط الضوء على المعاني البلاغية التي خرجت إليها الأساليب الطلبية، وذلك في سور جزء الأحقاف، ولقد أوردت في البحث جداول توضح عدد الأساليب الإنشائية الوارد ذكرها في كل سورة من سور جزء الأحقاف، ثم خَلُص البحث إلى مجموعة من النتائج والملاحظات.

ومن نتائج البحث:

- تعددت أغلب الأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية في جزء الأحقاف، وقد تكررت هذه الأساليب بصورة واضحة في آيات السور الكريمة الواقعة في هذا الجزء.
- إن ورود الأساليب الإنشائية الطلبية كان أكثر، مقارنةً بالأساليب الإنشائية غير الطلبية.
- يعد أسلوب الاستفهام أكثر الأساليب الإنشائية الطلبية وروداً في جزء الأحقاف مقارنةً بالأساليب الإنشائية الطلبية الأخرى، بينما يعد أسلوب النداء الأقل وروداً.

- أسلوب التمني هو الأسلوب الإنشائي الطلبي الوحيد الذي لم يرد بتاتاً في سور جزء الأحقاف.
- ورد في كل سورة من سور جزء الأحقاف الأساليب الإنشائية الطلبية الأربعة المتبقية جميعها، باستثناء سورة الفتح حيث ورد فيها أسلوبان فقط من الأربعة وخلت من النهي والنداء، وكما خلت سورة "ق" من أسلوب النداء.
- أسلوب القسم كان الأكثر والذم الأقل وروداً من بين الأساليب الإنشائية غير الطلبية.
- لم يذكر أسلوب التعجب في أي سورة من سور جزء الأحقاف.
- هناك تداخل بين الأساليب الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام في الآية الواحدة.

وأخيراً أُقدم بحثي المتواضع آملةً من الله أن يجعله في ميزان حسناتي، وحسنات من يقرأ وينقد.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. **اتفاق المباني وافتراق المعاني:** سليمان بن بنين الدقيقي النحوي، تحقيق د. يحيي عبد الرؤوف جبر، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٥م.

٢. **الإتقان في علوم القرآن:** جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية.

٣. **الإحكام في أصول الأحكام:** علي بن محمد الآمدي، علق عليه عبد الرازق عفيفي، ط١، ١٩٨١م.

٤. **أدب الكاتب:** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥. **الأساليب الإنشائية في النحو العربي:** عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠١م.

٦. **أساليب بلاغية الفصاحة–البلاغة– المعاني:** أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت،ط١، ١٩٨٠م.

٧. **أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين:** د. قيس اسماعيل الأوسي، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٨م.

٨. **أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه- إعرابه:** عبد الكريم يوسف، مكتبة الغزالي، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

٩. **الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية:** أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط٨، ١٩٩١م.

١٠. **الأصول من علم الأصول:** محمد بن صالح العثيمين، حققه أبو اسحاق بن صالح العشري السلفي، دار الإيمان، الإسكندرية،٢٠٠١م.

١١. **الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم:** محمد حسين سلامة، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

١٢. **إعراب القرآن الكريم وبيانه:** محي الدين الدرويشي، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

١٣. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي:** القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، حققه محمد صبحي حسن حلاق، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٤. **أوضح التفاسير:** محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية،ط٦، ١٩٦٤م.

١٥. **أيسر التفاسير:** د. أسعد محمود حومد، راجعه الشيخ محمد متولي الشعراوي وآخرون، ط٤، ٢٠٠٩م.

١٦. **الإيضاح العضدي:** الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي أبو علي: تحقيق: حسن شاذلي فرهود، ط١، ١٩٦٩م.

١٧. **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان البديع:** الخطيب القزويني، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

١٨. **البحر المحيط:** محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

١٩. **البرهان في علوم القرآن:** بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث، ط٣، ١٩٨٤م.

٢٠. **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح:** عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الأزهر، ط٨، ١٩٧٣م.

٢١. **بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني:** أ.د توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٠.

٢٢. **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:** عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

٢٣. **البلاغة العربية تأصيل وتجديد:** د. مصطفي الصاوي الجويني، منشأة معارف الإسكندرية، ١٩٨٥م.

٢٤. **البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني:** د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، إربد.

٢٥. **البلاغة والأسلوبية:** د. محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

٢٦. **البلاغة والتطبيق:** د. أحمد مطلوب و حسن البصير، ط٢، ١٩٩٩م.

٢٧. **بناء الأسلوب في شعر الحداثة:** محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

٢٨. **التبيان في تفسير القرآن:** أبو جعفر بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩. **الترصيع في علم المعاني والبيان والبديع:** محمد عبد القادر بن السيد محمد سليم الكيلاني، مطبعة حكومة دمشق، ١٩٩٢م.

٣٠. **التسهيل لعلوم التنزيل:** أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥.

٣١. **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:** أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٢. **تفسير التحرير والتنوير:** محمد الطاهر ابن عاشور، السداد التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٣٣. **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن:** محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تحقيق د. هاشم مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٣٤. **تفسير الصافي:** المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني، مكتبة الصد، طهران، ط٣، ١٩٥٩م.

٣٥. **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ضبطه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٣٦. **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب:** محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر، ط١، ١٩٨١م.

٣٧. **تفسير القرآن العظيم:** الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق مصطفي السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة، الجيزة، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٨. **تفسير القرآن العظيم المسمي تأويلات أهل السنة:** تصنيف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٩. . **تفسير القرآن الكريم تبصير الرحمن وتيسير المنان:** تصنيف علي المهايمي وبهامشه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للإمام أبي بكر السجستاني، مطبعة بولاق، مصر، ط٢، ١٩٨٣.

٤٠. **تفسير المراغي:** الأستاذ أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٦م.

٤١. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج:** أ.د وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١.

٤٢. **التلخيص في علوم البلاغة:** جلال الدين محمد الدمشقي القزويني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.

٤٣. **توفيق الرحمن في دروس القرآن:** فيصل بن عبد العزيز، حققه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن ابراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة، السعودية، ط١، ١٩٩٦م.

٤٤. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، ط٢، ٢٠٠٢م.

٤٥. **الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.

٤٦. **جامع البيان عن تأويل القرآن:** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن المحسن التركي، دار هجر، ط١، ٢٠٠١م.

٤٧. **جامع البيان في تفسير القرآن:** محمد بن عبد الرحمن الإيجي الشيرازي الشافعي ومعه حاشية: محمد بن عبد الله الغزنوي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٨. **جامع البيان في القراءات السبع المشهورة:** الحافظ أبو عمرو بن عثمان بن سعيد الداني، تحقيق الحافظ المقري محمد الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٤٩. **الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه:** تصنيف محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، ط٣، ١٩٩٥.

٥٠. **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:** أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصيرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٩م.

٥١. **الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون:** عبد الرحمن بن صغير الأخضري، تحقيق د.محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي.

٥٢. **الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم في علوم البلاغة:** السيد الشريف الجرجاني، قرأه وعلق عليه د. رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م

٥٣. **حاشية القونوي** عصام الدين الحنفي علي تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، ضبطه وصححه وخرج آياته عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ٢٠٠١.

٥٤. **الحجة في علل القراءات السبع:** أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٥٥. **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:** عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠م.

٥٦. **الخطاب الشعري عند محمود درويش"دراسة أسلوبية":** د. محمد صلاح أبو حميدة،مطبعة مقداد، غزة، ط١، ٢٠٠٠م.

٥٧. **دروس في البلاغة:** الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٥٨. **دلائل الإعجاز:** أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي.

٥٩. **دلالات التراكيب دراسة بلاغية:** د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ١٩٨٧م.

٦٠. **الرحيق المختوم:** صفي الرحمن المباركفوري، دارالوفاء، المنصورة، ط١٧.

٦١. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثان:** أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٢. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها:** محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٥م.

٦٣. **شرح المفصل:** موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي.

٦٤. **شروح التلخيص** ويتضمن: مختصر سعد الدين التفتازاني، مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي، الإيضاح للقزويني، حاشية الدسوقي على شرح السعد، دار الكتب العلمية.

٦٥. **الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٦٦. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:** اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط.٤

٦٧. **صفوة البيان لمعاني القرآن:** حسنين محمد مخلوف، ط١، القرن١٥هـ.

٦٨. **صفوة التفاسير:** محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.

٦٩. **الضوء المنير:** جمعه علي الصالحي من كتب الإمام ابن قيم الجوزية، مؤسسة النور، عنيزة.

٧٠. **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**: يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني، دار الكتب الخديوية، مصر.

٧١. **عرائس البيان في حقائق القرآن**: أبو محمد صدر الدين روزبها أبي نصر البقلي، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

٧٢. **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**: بهاء الدين السبكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصيرية، صيدا، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٧٣. **علم المعاني**: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

٧٤. **علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني**: د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط.٤

٧٥. **علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم**: د. حسن طبل، مكتبة الإيمان، ط٢، ٢٠٠٤م.

٧٦. **علوم البلاغة البيان والبديع والمعاني**: أحمد مصطفي المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م.

٧٧. **فتح البيان في مقاصد القرآن**: أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري، راجعه عبد الله ابراهيم الأنصاري، المكتبة العصيرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٢م.

٧٨. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، حققه الدكتور عبد الرحمن عميرة.

٧٩. **الفروق اللغوية:** أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

٨٠. **في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام:** د. خليل أحمد عمايرة، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٧م.

٨١. **في ظلال القرآن:** سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٧٢م

٨٢. **الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع:** د. عيسى علي العاكوب، علي سعيد الشتيوي، دار البهاء، ط١، ١٩٩٣م.

٨٣. **الكتاب كتاب سيبويه:** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

٨٤. **كتاب العين:** تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي: ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٨٥. **كتاب الواضح:** أبو بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي، تحقيق أ.د. عبد الكريم خليفة، مركز الرواد، ط٢، ٢٠١١م

٨٦. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** جار الله أبو القاسم الزمخشري، تحقيق ودراسة الشيخ عادل عبد الموجود الشيخ علي معوض، مكتبة العبيكات، الرياض، ط١.

٨٧. **لباب التأويل في معاني التنزيل:** علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي، بهامشه تفسير الشيخ محي الدين عربي.

٨٨. **اللباب في علوم الكتاب:** أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد بن الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٨٩. **لسان العرب:** لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٩٠. **المبسوط في القراءات العشر:** أبو بكر أحمد الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

٩١. **مجمع البيان في تفسير القرآن:** أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

٩٢. **المحصول في علم أصول الفقه:** محمد الدين الرازي، دراسة وتحقيق د. طه جابر فياض العلواني، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ط١، ١٩٨١م.

٩٣. **مختار الصحاح:** محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.

٩٤. **مشكل إعراب القرآن الكريم:** أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. حاتم صالح الضامين، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٤م.

٩٥. **المصباح المنير:** أحمد بن علي الفيومي المقري، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

٩٦. **معاني الفراء:** أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٣٨م.

٩٧. **معاني القرآن وإعرابه للزجاج:** أبو إسحاق ابراهيم بن السري، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م.

٩٨. **معترك الأقران في إعجاز القرآن:** جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٧٣م.

٩٩. **المعتمد في أصول الفقه:** أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي، تحقيق محمد حميد الله، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٤م.

١٠٠. **معجم التعريفات:** علي بن محمد السيد الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، القاهرة.

١٠١. **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها:** د.أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٩٣م.

١٠٢. **المعجم الوسيط:** مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

١٠٣. **مفتاح العلوم:** أبو يعقوب يوسف علي السكاكي، دار الرسالة، بغداد، ط١، ١٩٨٢م.

١٠٤. **المنتخب في تفسير القرآن الكريم:** لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلي للشؤون الإسلامية في القاهرة، دار الثقافة، الدوحة.

١٠٥. **الموضح في وجوه القراءات وعللها:** نصر بن علي بن محمد الشيرازي النحوي، تحقيق ودراسة د. عمر الكبيسي، ط١، ١٩٩٣م.

١٠٦. **النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة:** عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط.٣

١٠٧. **النداء في اللغة والقرآن:** د. أحمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

١٠٨. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٠٩. **نكت الأعراب في غريب إعراب القرآن الكريم:** جار الله أبي القاسم محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق د. محمد أبو الفتوح شريف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

١١٠. **النهاية في غريب الحديث والأثر:** مجد الدين محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناجي، المكتبة الإسلامية.

١١١. **نيل المرام في تفسير آيات الأحكام:** تصنيف محمد صديق حسن خان، المطبعة الرحمانية، مصر.

١١٢. **الهداية إلى بلوغ النهاية:** أبو محمد بن أبي طالب القيسي، ط١، ٢٠٠٨م.

١١٣. **الوسيط في تفسير القرآن الكريم:** أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤.

- **الرسائل العلميّة:**

١. **أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية:** يوسف عبد الله الأنصاري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩٠م.

٢. **الأساليب الإنشائية في سورة الإسراء**، دراسة بلاغية تحليلية(رسالة ماجستير)، للباحثة: مشاعل بنت عبد الرحمن بن حسن الحافي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٣٤هـ.

٣. **الأساليب الإنشائية في شعر لبيد بن ربيعة**،(رسالة ماجستير)، للباحثة: بدرية منور العتيبي جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ .

٤. **الأساليب الإنشائية في سورة طه**، دراسة بلاغية تحليلية(رسالة ماجستير)، للباحثة: أروى بنت عبد الرحمن السحيباني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ١٤٣٤ هـ.

٥. **أسلوب الإنشاء في سور المفصل من سورة ق إلى آخر سورة الناس**،(رسالة ماجستير) الباحث: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، جامعة الإمام محمد بن سعود ،١٤١٤هـ

٦. **الأساليب الإنشائية في سورة النحل**،(رسالة ماجستير)، للباحثة: أفنان بنت منصور بن صالح اليوسف ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٧. **الأساليب الإنشائية في سورة النمل**، دراسة بلاغية تحليلية(رسالة ماجستير)، للباحثة: خلود بنت سعد بن إبراهيم العقيل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،الرياض، ١٤٢٩هـ.

٨. **الأساليب الإنشائية في سورة يونس**،(رسالة ماجستير)، للباحث: عبد الرحمن بن إبراهيم الجريد ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٩. **الأساليب الإنشائية في سورتي الأنعام والأعراف**،(رسالة ماجستير)، للباحثة: زينب حسن محمد، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية،١٠٤٩هـ.

١٠. **الأساليب الإنشائية في سورتي الأنفال والتوبة**،(رسالة ماجستير)، للباحثة: آمنة علي عثمان، جامعة الأزهر.

١١. **الأساليب الإنشائية في سورتي النساء والمائدة وأسرارها البلاغية**،(رسالة ماجستير)، للباحثة: أسماء السيد شعبان، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية، ١٤١١هـ.

١٢. **أسلوب القسم في القرآن الكريم" دراسة بلاغية"**: علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٩١م.

١٣. **أسلوب النداء في القرآن الكريم" دراسة تطبيقية في السور المكية"**: عبد الرحمن بن أحمد المقري، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة،٢٠٠٧م.

١٤. **بلاغة الأساليب الإنشائية في سورة الكهف**،(رسالة ماجستير)، للباحث: عبد الله بن ابراهيم بن عيسى الجريوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٤٣٤هـ.

١٥. **سورة يوسف دراسة بلاغية:** حابس شحادة القعايدة، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥م.

١٦. **من الأساليب الإنشائية في جزء الذاريات، مواقعها وأسرارها**،(رسالة ماجستير)، للباحثة: لمياء بنت محمد بن حمود المطرفي، جامعة أم القرى، ٢٠٠٧.

١٧. **النداء في القرآن الكريم" سورة البقرة نموذجاً"**: مبارك تركي، رسالة دكتوراه، جامعة ابن يوسف بن حدة، الجزائر، ٢٠٠٧م.

١٨. **النظم القرآني في سورة هود:** مجدي أبو لحية، بحث ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩م.

- **مواقع الشبكة العنكبوتية:**

١. **التقديم والتأخير في القرآن:** فسطاس ابراهيم النعيمي، موقع جامعة الإيمان، ٢٧يناير٢٠١٣م.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
الملخص	ج
Abstract	هـ
المقدمة	ز
التمهيد	١-١٠
أولاً: تعريف الأسلوب	٢
ثانياً: مفهوم الإنشاء، أنواعه، صيغه	٣-٤
ثالثاً: سبب عناية البلاغيين بالأساليب الإنشائية الطلبية	٥
رابعاً: أثر الأساليب البلاغية في إبراز المعاني	٦
خامساً: وقفات مع جزء الأحقاف	٨
الفصل الأول: أسلوب الاستفهام وأغراضه البلاغية	١١-٦٨
المبحث الأول: تعريف الاستفهام، أدواته، طرقه	١٤-١٩
المبحث الثاني: أولاً: بلاغة الأوجه القرآنية في جزء الأحقاف	٢١
ثانياً: علاقة أسلوب الاستفهام بموضوعات البلاغة	٢٥
المبحث الثالث: أولاً: المعاني البلاغية للاستفهام	٤٠
ثانياً: أسلوب الاستفهام في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية	٤٢
الفصل الثاني: أسلوب النهي وأغراضه البلاغية	٦٩-٩٤
المبحث الأول: أولاً: تعريف النهي ودلالاته	٧٢-٧٥
ثانياً: علاقة أسلوب النهي بأساليب البلاغة الأخرى	٧٦
ثالثاً: علاقة أسلوب النهي بموضوعات البلاغة الأخرى	٨٠
المبحث الثاني: أولاً: المعاني البلاغية لأسلوب النهي	٨٥
ثانياً: أسلوب النهي في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية	٨٧

الفصل الثالث: أسلوب النداء وأغراضه البلاغية	٩٦-١٢٦
المبحث الأول: أولاً: ماهية النداء، أدواته، معانيه	٩٩-١٠٣
ثانياً: علاقة أسلوب النداء بأساليب البلاغة الأخرى	١٠٤
المبحث الثاني: أولاً: المعاني البلاغية للنداء	١١٢
ثانياً: أسلوب النداء في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية	١١٥
الفصل الرابع: أسلوب الأمر وأغراضه البلاغية	١٢٦-١٥٨
المبحث الأول: أولاً: تعريف الأمر، صيغه، دلالاته	١٢٨-١٣١
المبحث الثاني: أولاً: المعاني البلاغية لأسلوب الأمر	١٣٣
ثانياً: أسلوب الأمر في جزء الأحقاف وأغراضه البلاغية	١٣٥
الفصل الخامس: أساليب الإنشاء غير الطلبي في جزء الأحقاف	١٥٩-١٧٦
أولاً: تعريف الإنشاء غير الطلبي	١٦٠
ثانياً: أسلوب القسم في جزء الأحقاف	١٦٢
ثالثاً: أسلوب الرجاء	١٦٨
رابعاً: أسلوب الذم	١٧٢
الخاتمة	١٧٧
المصادر والمراجع	١٧٩
قائمة المحتويات	١٩٤